جـــامعة الأزهـــــر
كلية القرآن الكريم للقراءات
وعلومها بطنطا

ضَوَابِـطُ الاحْـتِرَازِ

مِنْ خُضُوع المرأة بالقول عند ترتيل القرآن الكريم

إعداد

نصر سعيد عبد المقصود

أستاذ القراءات وعلومها المساعد بكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا

١٤٤٣هـ = ٢٠٢٢م

ضوابط الاحتراز من خضوع المرأة بالقول عند ترتيل القرآن الكريم

نصر سعيد عبد المقصود

قسم القراءات ، كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها ، جامعة الأزهر، طنطا، مصر.

الإيميل الجامعي : NasrMaqsoud.36@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

هذا البحث يبين حقيقة الخضوع بالقول، و خصائص صوت المرأة، و ما يترتب على معاني (الباء) في قوله تعالى:(فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض)، و ما يحترز منه عند نطق الحروف القرآنية؛ حتى لا يرقق المفخم، أو ينغم القراءة بنغمة تخرجها عن حد الاعتدال.

ويضع البحث ضوابط محددة للقول المعروف؛ حتى لا يقع الرجل أو المرأة في الخضوع بالقول، وضوابط خاصة لصوت المرأة عند قراءتها القرآن الكريم على رجل، سواء عن طريق التقنية الحديثة والمقارئ الإلكترونية، أم عن طريق التلقي والمشافهة بلا واسطة.

ومن أهم النتائج التي انفرد بها البحث صلاحية معنى السببية في " الباء" الداخلة على القول؛ فتكون المرأة، متأثرة بالقول، و مؤثرة بجوابها، وردها.

الكلمات المفتاحية :(ضوابط – الاحتراز– المرأة– الخضوع بالقول– ترتيل القرآن).

Precautions to guard against the woman's softening of speech when reciting the Holy Qur'an

Nasr Saeed Abdul Maqsoud

Department of Presentation and study, Faculty of the Holy Quran, for Readings and Sciences of Tanta, At Al-Azhar University- Egypt.

Emaile : NasrMaqsoud.36@azhar.edu.eg.

Abstract:

The study explores the definition and manifestation of softening in speech, the characteristics of a woman's voice, and the implications of the meanings of the letter (baa) in the verse " Bil-Qawl" [Do not be soft in speech [to men], lest he in whose heart is disease should covet]. The study focuses on the precautions for women when pronouncing the Qur'anic letters; So that they do not soften the velarized sounds, or tune their recitation beyond moderation.

The research sets specific identifiers for the sound recitation; so that neither a man nor a woman falls into softening speech. It moreover proposes special identifiers for a woman's voice when she recites the Holy Qur'an to a man, whether by means of modern technology and electronic recitation circles, or by direct verbal interaction without intermediation.

Results of the study showed that the (baa) letter in "Bil-Qawl" carries the meaning of causation; perceiving the woman to be affected by speech, and affecting others by her response.

Keywords:Identifiers- Precautions- women – softening in speech- recitation of the Qur'an .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَــةُ

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا}[الكهف:١]، والصلاةُ والسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،الذِي أُنزِلَ على قلبِه القرآنُ، فرتَّله تَرْتِيلًا، وعَلَّمَهُ لِلصَّحَابَةِ الكِرام، فَقَامُوا بِحقِّ حُرُوفِهِ وحُدُودِه خيرَ قِيام، وأدَّوا رسالتَه لمن بَعدَهم بإتقانٍ وإحسانٍ!

فَرضِي اللهُ عنهم جميعًا، وجَزاهم عنَّا خيرَ الجزاء! ... وبعدُ،

فإنَّ المرأةَ مخاطَبَةٌ بِتَرتِيل القُرْآنِ الكريم في عُمُوم مُخَاطَبة الرجل بذلكَ فِي قَولِه تعَالَى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) [المزَّمل:٤]، فهو أمْرٌ للنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَلأُمَّتِه جَمِيعًا.

وَمِنْ حَقِّ المرأةِ أن تَتعلَّمَ التَّرْتِيلَ وتُعَلِّمَهُ لِغَيْرِها، فهِيَ الأُمُّ والأُخْتُ والزَّوجةُ والبِنتُ والعَمَّةُ والخَالَةُ.

وكم من مُعَلِّماتٍ للقرآن الكريمِ وقراءاتِه قَد تخَرَّجَ على أيديهِنَّ العلماءُ الأجلاءُ[1]!

ودع عنك قولَ بعْضِهم: إنَّ صوتَ المرأة عورةٌ؛ لأنَّ الإسلامَ قد أباحَ لها أن تتكلَّمَ مَعَ الرجالِ الأجانبِ في المعاملاتِ بيعًا وشراءً وشهادةً وغيرِ ذلك، ولكنه وضَع لها ضَوابِطَ في اختيار كلامِها، وهيئَةِ تَكَلُّمِها، بلْهَ حجابَها، ومِشْيَتَها، وإشاراتِها، وحركاتِها.

والأدلةُ على ذلك كلِّه من القرآنِ الكريمِ، والأحاديثِ، وأحداثِ السِّيرةِ والتَّاريخِ والواقعِ جِدُّ كثيرة.

---

(١) مثل الشيخة أم السعد"- رحمها الله- من قرية البندارية إحدى قرى مدينة المنوفية (شمال القاهرة).

هذا، وقد أقبلتِ المرأةُ على تعلُّم القرآنِ الكريم وتعليمِه أكثرَ من ذي قبلُ، و كثُرت في عصرِنا المقارئُ الإلكترونية، ووسائلُ التَّواصل الاجتماعي بالصَّوتِ وحدَه، أو بالصوتِ والصورةِ معًا، ولا ننكر أنَّ هذه نعمةٌ يجب علينا شكرُها، ومن شكرِها وضعُ ضوابطَ احترازيةٍ عند قراءةِ المرأةِ القرآنَ الكريمَ على رجل، ولاسيما فيما يتعلقُ ب(الخُضُوع بالقول)؛ لأنه فتنةٌ للرجل والمرأةِ معًا، ولا يكفي إخلاصُ النِّيَّةِ، و حُسْنُ المَقْصِد؛ فإنَّ الشيطانَ يجري مِنَ ابنِ آدمَ مَجرى الدَّم، ونَسألُ اللهَ العصمةَ والسلامةَ!

وإذا كان السابقون قد أَلِفوا في دقائقِ علم التَّجويدِ، وما يُحتَرَزُ منه في أثناء القراءة[1]؛ حتى لا يقعَ القارئ في اللحنِ الجليّ أو الخفيّ- فإنني أجدُ لِزامًا علينا أن نبينَ للنَّاسِ (رجالًا ونساءً) ضوابطَ الاحترازِ من الخضوع بالقول،و هو محظورٌ شرعًا، بالنهي الصريح في قوله تعالى: (فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا}[الأحزاب:٣٢].

وميْلُ الرجلِ تُجاهَ الأنثى أمرٌ فطريٌّ جِبِلِّيٌّ، لا يُنكَر، كما أنَّ ميلَها له كذلك.

وقد تَسْتَصْحِبُ المرأةُ المسلمةُ الخضوعَ بالقولِ في أثناءِ قراءتِها القرآنَ الكريمَ-من حيث لا تدري-وهذا ظننا بأخواتنا وبناتنا الفضليات-بارك الله فيهنَّكلِّهنَّ جُمَعَ!

(١) نحو كتاب الإمام الصفاقسي :(تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين).

"لأنَّ اللينَ في كلام النِّساءِ خُلُقٌ لهنَّ لا تكلفَ فيه، فأريدَ من نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التكلف للإتيان بضده" [1]، ولا يقال:

ومكلِّفُ الأشياءِ ضِدَّ طِباعِها ... متطلِّبٌ في الماءِ جَذْوَةِ نَارِ[2]

لأنَّ اللهَ عزَّ وجَل لا يأمرُنا إلا بما في وُسْعنا أن نأتيَه، ولا يَنهانا إِلَّا عما في طاقتنا أن نجتنبَه.

لذا أحببتُ أن أضعَ بعضَ الضوابطِ الصَّوتيةِ؛ حتى تتمكنَ القارئةُ من الاحتراز من الخضوع بالقول مع الأجانب مُطْلَقًا، ولاسيَّما عند تلاوة القرآنِ الكريم، فكان هذا البحثُ بعنوان:(ضَوَابِطُ الاحْتِرَازِ مِنْ خُضُوع المرأة بالقول عند ترتيل القرآن الكريم).

أهمية البحث وأهدافه:

تبدو أهميةُ هذا البحثِ في الوقوفِ على مظاهرِ خضوع المرأة بالقول، ومحاولةِ الكشفِ عن كيفيةِ الاحترازِ منها في أثناءِ قراءة القرآن الكريم؛ ليكون عونًا على ضبط الصوت، وجودة القراءة، والبُعدِ عن التكلُّف والإفْراطِ أو التسيُّبِ والتَّفْرِيطِ.

حدود البحث:

ويختصُّ البحثُ بوضع ضوابطَ احترازيةٍ من خُضُوع المَرْأَةِ بالقول عند قراءةِ القُرْآنِ الكريم خاصةً، وذلكَ بالوقوفِ على الظَّواهرِ الصَّوتيةِ المُحْتَمَلَةِ لِلْوقوعِ في ذلك (الخضوع) بالنظرِ إلى خَصائصِ صَوْتِ

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي١٥/ ٣٤٤.

(2) البيت من بحر الكامل، من قصيدة للشاعر علي بن محمد التهامي، ابو الحسن على بن محمد بن فهد التهامي المتوفى سنة ٤١٦ هـ، ومطلعها: (حكمُ المنيَّة في البريَّة جارِ ** ما هذه الدنيا بدار قرارِ)، وهو في ديوانه١/ ٢٧٦: وبعده قوله: وإذا رجوتَ المستحيل فإنما ** تبني الرَّجاء على شفيرٍ هار.

المَرْأَةِ.

أسباب اختيار البحث:

١-من أقوى أسباب هذا البحث غَيْرَتي على المؤمناتِ الغافلاتِ الراغباتِ في تلاوة القرآنِ حقَّ تِلاوتِه، دونَ الوُقُوعِ في مَحْظُورٍ.

٢-الاحتراز مما حذّر النبيُّ- صلى الله عليه وسلم- أمتَه تحذيرًا بليغًا من فتنة النساء، فقال: "ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرجالِ من النِّساء"[١] ، وقال: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفُكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإنَّ أولَ فتنةِ بني إسرائيلَ، كانت في النِّساءِ.[٢]

٣-شُيُوعُ قِرَاءةِ النِّساءِ للقرآنِ الكريم في عَصْرِنَا عَبْر وسائل الإعلام، و التَّوَاصُل الاجْتِمَاعِيّ، ووُقوعُ كثيرٍ منهنَّ في بَعْضِ مَظاهِرِ الخُضُوع بِالقَول.

٤-عدمُ وُجودِ ضَوابطَ صوتيةٍ مُحَدَّدَة تُوقِفُنَا على كيفيةِ اجتنابِ النَّهْيِ عن الخضوعِ بالقولِ عامةً، وفي قراءةِ القُرآن الكريم خاصةً.

منهج البحث:

اتخذتُ المَنهجَ الوَصفيَّ التَّحْلِيلِيَّ، واسْتَعَنتُ بالمنهَج الاسْتِنبَاطِيِّ[٣]، مُنطَلِقًا من الكلّيَّاتِ إلى الجُزْئيَّاتِ؛ من حيثُ انتشارُ

---

(١) رواه البخاري٧/ ٨، برقم٥٠٩٦.

(٢) رواه مسلم ٤/ ٢٠٩٨، برقم٢٧٤٢.

(٣) ويسمى "المنهج الاستدلالي"، أو "المنهج الاستنتاجي"، ويتمثل في دراسة

قراءةِ المرأةِ جهرًا أمامَ النَّاس،وذُيوعُها في الحلْقات القرآنيَّة، بل و القنوات المسموعة والمرئيَّة، ووضع الضوابط الاحترازية من خلال الظواهر الصوتيَّة الخاصة بالمرأة عند تلاوة القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

لم أرَ-على حدِّ عِلمي- من أفردَ هذا الموضوعَ بالدراسة، غيرَ أنَّ هناك بعضَ الأبحاث الفقهيةِ في أحكام النظرِ إلى المرأة الأجنبية، والحديثِ معها، وفيها فوائدُ وإضافاتٌ علمية، ولكنها بعيدة عن موضوعِنا.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما معنى الخضوع بالقول؟ وما مظاهره؟

٢- هل يختص الخضوع بالقول بالنساء دون الرجال؟

٣- ما المعايير الصوتية التي ينبغي أن تتوافر لدى المرأة؛ حتى تتجنب الخضوع بالقول.

لمشكلة بشكل كلي انطلاقًا من المُسلَّمات أو النظريات أو المعارف العامة، وبعد ذلك الانتقال للجُزئيات، من خلال الاستنتاجات، أي إنه دراسة تبدأ بالعام ثم تنتقل إلى الخاص في مراحلها التالية، ومراحل استخدام المنهج الاستنباطي: تحديد النظرية أو المُسلَّمة العامة: ويُعرف ذلك باسم المقدمة المحورية أو العامة، وهو أولى مراحل استخدام المنهج الاستنباطي، حيث يطرح الباحث أمورًا حقيقية وواقعية ولا يشوبها خطأ، ثم تحديد الجُزئيات: وفي تلك المرحلة من مراحل المنهج الاستنباطي يقوم الباحث بوضع جُزئيات بناءً على القاعدة، ثم الفروض والنتائج .

٤- ما الضوابط الاحترازية من الخضوع بالقول عند تلاوة المرأةِ القرآنَ الكريمَ؟

واقتضت طبيعةُ البحثِ أن يكون في ثلاثةِ مباحثَ، يسبقُها مقدمةٌ وتمهيدٌ، وتلحقُها خاتمةٌ،فأما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، ومنهجه، ومشكلته.

وأما التمهيد فقد تحدثت فيه عن معنى الضابط، والفرق بينه وبين القاعدة والمعيار، ثم بينت حكم مخاطبةِ المرأةِ الرجلَ الأجنبيَّ، وأن صوتَها ليس بعورة.

المبحث الأول: مفهوم الخضوع عند اللغويين، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى الخضوع في اللغة.

المطلب الثاني: الفرق بين الخضوع وما يقاربه في المعنى.

المطلب الثالث: الخضوع بين الحقيقة والمجاز.

المطلب الرابع: الفعل(خضع) بين التعدي واللزوم.

المطلب الخامس: الحروف التي يتعدى بها الفعل (خضع) بين اللغة والقرآن.

المبحث الثاني: وقفات تدبرية في قوله تعالى:(فلا تخضعن بالقول)، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: وقفة مع سياق الآية الكريمة.

المطلب الثاني:خلاصة أقوال المفسرين في معنى النهي عن خضوع المرأة بالقول. المطلب الثالث: الوقف والابتداء في الآية وأثره في المعنى.

المطلب الرابع: تفسير أبي حيان (التقوى) ب(الاستقبال) والرد عليه.

المطلب الخامس:معنى الباء في قوله:(بالقول).

المطلب السادس:توجيه قراءتي(فيطمع) بالنصب والجزم، وأثره في

المعنى.

المطلب السابع: المراد بالمرض والقول المعروف.

المبحث الثالث: خصائص صوت المرأة وضوابط احترازية في ضوء علم الأصوات، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول:الخصائص الصوتية للمرأة.

المطلب الثاني: صفات صوتية خاصة ببعض النساء.

المطلب الثالث: ضوابط احترازية في الصوت الطبيعي للمرأة.

المطلب الرابع: ضوابط احترازية عامة عند قراءة المرأة على الرجل القرآن الكريم

المطلب الخامس: ضوابط احترازية للتواصل بين الجنسين عبر التقنية الحديثة

المطلب السادس: المقرأة الالكترونية وضوابط احترازية من خضوع المرأة بالقول

المطلب السابع: الضوابط الاحترازية الخاصة بالمرأة غير العربية عند تلاوتها على الرجال

المطلب الثامن: ضوابط احترازية في نطق الأصوات القرآنية.

المطلب التاسع: ضوابط احترازية في خصائص تعبيرية أخرى.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

واللهَ أسألُ القبولَ والتوفيقَ والعصمةَ من الزلل!

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِكْ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

التمهيد

أولًا- الضابط والقاعدة والمعيار والفرق بينها :

الضابط لغة: اسم فاعلٍ من ضَبَطَ يَضْبِطُ ضَبْطًا، الضبط: لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء. ورجل ضابط: شديد البطش والقوة والجسم[١]،فالضَّادُ وَالْبَاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ. ضَبَطَ الشَّيْءَ ضَبْطًا. وَالْأَضْبَطُ: الَّذِي يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا[٢]،فالضَّبْطُ: لُزُومُ الشَّيْءِ بِقُوَّةٍ[٣].

والضابط أخصُّ من القاعدة، فهو: أمر كُلِّي يختص بباب واحد، ويقُصد به نظْم صور متشابهة، يقول تاج الدين السُّبكي[٤]: ((والغالب فيما اختص بباب وقُصد به نَظْمُ صور متشابهة أن يُسمَّى ضابطًا))[٥] .

والقاعدةلغة :واحدة القواعد: أساس البيت، وقعائد الرمل وقواعده: ما ارتكن بعضه فوق بعض، وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضات في أسفله قد ركب الهودج فيهن[٦]، ومادة (ق ع د) تدور

---

(١) العين للخليل (ضبط) ٧/ ٢٣، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة: باب الضاد والباء وما يثلثهما، مادة (ضبط) (٣/ ٣٨٧)، وتهذيب اللغة: باب الضاد والباء، مادة (ض ب) (١١/ ٣٣٩)..

(٣) ينظر: النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ أَلْفَاظِ المهَذّبِ لابن بطال ١/ ٢٥٧.

(٤) هو أبو نصر، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي السُّبكي، الشافعي، ولد في القاهرة سنة سبع وعشرين وسبعمائة، ومن مؤلفاته: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، والأشباه والنظائر في مذهب الإمام الشافعي، وطبقات الشافعية، ومات شهيداً بالطاعون في شهر ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة. طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (٣/ ١٠٤)، وشذرات الذهب (١/ ٦٧).

(٥) الأشباه والنظائر للس الأشباه والنظائر للسُّبكي (١/ ١١).

(٦) العين للخليل (قعد) ١/ ١٤٣.

حول الرسوخ والثبات "كهيئة القعود، وأسس البيت الثابتة التي يبنى عليها.

فالقاعدة هي: (الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يُفْهَم أحكامُها منها)[1].

و يشترك الضابط والقاعدة في أن كلًّا منهما حكمٌ كلي يجمع فروعـًا من المسائل أو الصور، مما جعل بعض العلماء لا يرى فرقـًا بينهما، إلا أن ثمة فروقـًا بين الضابط والقاعدة تُمَيِّز كلَّ واحدٍ منهما عن الآخر، وبخاصةٍ إذا افترقا، فالقاعدة لا تختص بباب من الأبواب العلمية بخلاف الضابط.

فالقواعد أعمُّ وأشملُ، يقول ابن نُجَيم[2]:((والفرق بين الضابط والقاعدة أن القاعدة تجمع فروعـًا من أبواب شتَّى، والضابط يجمعها من باب واحد، هذا هو الأصل))[3].

فالفروع المندرجة تحت القاعدة أكثر من الفروع التي قد تندرج تحت الضابط؛ لأن للقاعدة عمومـًا يقصُر عنه الضابط، فكانت فروعها كذلك لا تختص بباب معين[4].

كما أنَّ الاستثناءات في القواعد أكثر منها في الضوابط؛ لأن

---

(1) الأشباه والنظائر للسُّبكي (١/ ١١).

(2) هو زين الدّين بن إبراهيم بن محمد بن محمد المصري، الحنفي، الشهير بابن نجيم، ومن مؤلفاته: البحر الرائق شرح كنز الدقائق وكتاب الأشباه والنظائر وغيرها، وتوفي صبيحة يوم الأربعاء من رجب سنة سبعين وتسعمائة. شذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/ ٥٢٣)، والأعلام للزركلي (٣/ ٦٤).

(3) الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص: ١٣٧).

(4) المرجع السابق ذاته.

الضوابط تكون في باب واحد فلا تخرج الاستثناءات - في الغالب - عن هذا الباب.

والمِعْيار في اللغة والعيار: ما عايرت به المكاييل. والعيار صحيح وافر تام. عايرته. أي: سويته عليه فهو المعيار والعيار. وعيَّرت الدنانير تعييرًا، إذا ألقيتَ دينارًا فتوازن به دينارًا دينارًا. والعيار والمِعيار لا يقال إلا في الكيل والوزن[١].

وهذا هو الأصل، وقد يقال في غيرهما كما في قولنا: معيار الصواب والخطأ، ومعيار النجاح والرسوب، ونحو ذلك.

والمعيار هو: مَا يُقَاس بِهِ غَيره وَيَسْتَوِي بِهِ[٢] .

و عند الأصوليين هو الظرفُ المساوي للمظروف كالوقت للصوم[٣].

وفِي الفلسفة: نموذج مُتَحَقق أَو مُتَصَوّر لما يَنْبَغِي أَن يكون عَلَيْهِ الشَّيْء، وَمِنْه الْعُلُوم المعيارية وَهِي الْمنطق والأخلاق وَالْجمال وَنَحْوهَا[٤].

ومن ثَمَّ كان اختيار البحث لمصطلح(الضابط) أدقَّ وأولى من غيره؛ لاختصاصه بقضية واحدة، تتعلق بالاحتراز من الخضوع بالقول في ترتيلِ المرأةِ القرآنَ الكريمَ.

---

(١) العين للخليل (عير)٢/ ٢٣٩.

(٢) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري٣/ ٢٠٨.

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي ١/ ١٦٠١، والتعريفات الفقهية لمحمد البركتي٢١١.

(٤) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (عير) ٢/ ٦٣٩.

ثانيًا- صوت المرأة ليس بعورة:

إن الخضوع بالقول، واللين فيه، في الأصل مباح، بَلْهَ كلامَ المرأةِ مع الرجال الأجانب. ولكن لما كان الخضوع بالقول وسيلة إلى المحرم، مُنع منه، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال الأجانب، أن لا تلِينَ لهم القول، وكذلك الرجل في مخاطبة المرأة الأجنبية؛ فإن الوسائل لها أحكام المقاصد.

فمن تأمل سنة النبي- صلى الله عليه وسلم- علم أنها فرَّقت بين الرجل والمرأة في رفع الصوت، فالمشروع في حق النساء أنها لا ترفع صوتها بالتلبية، إلا بمقدار ما تسمع نفسها أو رفيقتها، ولا يسن لها أذان ولا إقامة، والمسنون في حقها لتنبيه إمام الصلاة التصفيق دون التسبيح، وإنما كره لها رفع الصوت مخافة الفتنة بها؛ لأن فتنة الرجل بصوت المرأة أشد من فتنتها به، كما هو مشاهد محسوس.

وقد حرَّم الإسلام كل ما يدعو إلى الفتنة والإغراء؛ فنهى المرأة أن تضرب برِجْلها الأرض حتى لا يُسمعَ صوتُ الخَلْخَال فتتحرك الشهوةُ في قلوبِ بعض الرجال {وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ} (النور/ ٣١) .

وقد استدل الحنفية بهذا النهي على أن صوت المرأة عورة، وقالوا: فإذا منعت عن صوت الخَلْخَال فإن المنع عن رفع صوتها أبلغُ في النهي.

قال الجصاص: (وفي الآية دلالة على أن المرأة منهية عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب إذْ كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خَلخالها؛ ولذلك كره أصحابنا أذان النساء؛ لأنه

يُحتاج فيه إلى رفع الصوت، والمرأةُ منهية عن ذلك، وهو يدل على حظر النظر إلى وجهها للشهوة، إذا كان ذلك أقرب إلى الريبة وأولى بالفتنة). [١].

ونقل بعض الحنفية أن نغمة المرأة عورة واستدلوا بحديث (التكبير للرجال والتصفيق للنساء) فلا يحسن أن يسمعها الرجل. [٢]

وذهب الشافعية وغيرهم إلى أن صوت المرأة ليس بعورة لأن المرأة لها أن تبيع وتشتري وتُدْلي بشهادتها أمام الحكام، ولا بد في مثل هذه الأمور من رفع الصوت بالكلام.

قال الآلوسي: (والمذكور في معتبرات كتب الشافعية - وإليه أميل - أن صوتهن ليس بعورة فلا يَحْرُم سماعُه إلا إن خشي منه فتنة)[٣].

والظاهر أنه إذا أمنت الفتنة لم يكن صوتُهن عورةً فإن نساء النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-كُنَّ يَرْوِينَ الأخبارَ، ويحدِّثْن الرجال، وفيهم الأجانب من غير نكير ولا تأثيم.

وقد كره علماء الشافعية وغيرهم جهرها في الصلاة بحضرة أجنبي، وعللوه بخوف الافتتان". [٤]

"وقال الإمام أحمد - رحمه الله -: ينبغي للمرأة أن تخْفض من صوتها إذا كانت في قراءتها إذا قرأت بالليل". [٥]

---

(١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص٣/ ٤٧١.
(٢) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني٢/ ١٦٦.
(٣) روح المعاني٩/ ٣٤٠.
(٤) ينظر: نهاية المحتاج للشربيني٢/ ١٤٠.
(٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٨/ ٣١)

«وصوت الأجنبية ـ ليس بعورة، قال في الفروع وغيره: على الأصح، ويحرم التلذذ بسماعه ولو كان بقراءةٍ، خشية الفتنة»[1].

وقال في (مغني المحتاج) من فقه الشافعية: «وصوت المرأة ليس بعورة ، ويجوز الإصغاء إليه عند أمن الفتنة»[2].

وينبغي التنبيه إلى أن صوت المرأة ليس عورة على الراجح من قولَي العلماء، بشرط ألا تلين وتخضع بالقول.

ولذلك كان الأصل أن تتعلم المرأة على يد امرأة مثلها؛ لأنَّ من مقاصد الشريعة سدَّ الذرائع التِي قد يُتوصَّل بِها إلى الحرام، والاختلاط بين الجنسين من أبواب الحرام، فإذا لم توجد امرأة، ودعت الحاجة أو المصلحة إلى تعلم الفتاة على يد رجل، جاز ذلك إذا التزما بالضوابط الشرعية، وإذا لم يترتب عليه فتنة.

فصوت المرأة ليس عورة، ولكن بشرط عدم الخضوع بالقول، أو ترخيم الصوت، فإن كانت قراءة المرأة للقرآن بغير نغم ولا تمطيط ولا تليين ولا تحبير للصوت، فلا بأس من القراءة على الشيخ،قال الله تعالى: {فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} [الأحزاب:٣٢].

لأن صوت المرأة الملحَّن قد يكون فتنة، بخلاف صوتها العادي، وقراءة القرآن يلزم فيها التجويد وتحسين الصوت، وهو من التلحين.

وقول القرطبي – رحمه الله –: إن صوت المرأة عورة؛ يعني إذا

---

(١) قاله في (كشاف القناع) من كتب الحنابلة (٥/ ١٥).

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الخطيب الشربيني الشافعي. (٤/ ٢١٠)، دار الفكر بيروت.

كان ذلك مع الخضوع، أما صوتها العادي فليس بعورة؛ لقول الله سبحانه: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}، فنهاهن سبحانه عن الخضوع في القول؛ لئلا يطمعَ فيهن أصحاب القلوب المريضة بالشهوة، وأذِنَ لهن سبحانه في القول المعروف، وكان النساء في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - يكلمنه، ويسألنه عليه الصلاة والسلام، ولم ينكر ذلك عليهن، وهكذا كان النساء في عهد أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يكلمن الصحابة، ويستفتينهم، فلم ينكروا ذلك عليهن، وهذا أمر معروف ولا شبهة فيه.

ومن طريف تلك الأدلة على إباحة كلامهن مع الآخرين[1]، وأن صوتهن ليس بعورة- الأمرُ بامتحان المرأة امتحانًا شفَويًّا في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ) (الممتحَنة/ ١٠)أى: فاختبروهن اختبارًا يغلب معه الظن بأنهن صادقات في هجرتهن وفي إيمانهن، وفي موافقة قلوبهن لألسنتهن.[2]

ولا ريب في أن الامتحان كان شفويًّا، ولم يكن تحريريًّا!

المبحث الأول:

(١) سمعته من الشيخ محمد الغزالي(رحمه الله)!

(٢) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي ١٤/ ٣٣٨.

مفهوم "الخضوع بالقول" عند اللغويين:

معنى الخضوع في اللغة:

الْخَاءُ وَالضَّادُ وَالْعَيْنُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا تَطَامُنٌ فِي الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ جِنْسٌ مِنَ الصَّوْتِ.

قَالَ الْخَلِيلُ. خَضَعَ خُضُوعًا، وَهُوَ الذُّلُّ وَالِاسْتِخْذَاءُ، وَاخْتَضَعَ فُلَانٌ، أَيْ تَذَلَّلَ وَتَقَاصَرَ. وَرَجُلٌ أَخْضَعُ وَامْرَأَةٌ خَضْعَاءُ، وَهُمَا الرَّاضِيَانِ بالذل..قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: خَضَعَ الرَّجُلُ وَأَخْضَعَ، إِذَا لَانَ كَلَامُهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: " «نَهَى أَنْ يُخْضِعَ الرَّجُلُ لِغَيْرِ امْرَأَتِهِ» " أَيْ: يُلَيِّنَ كَلَامَهُ.(١)

وما ورد من مادة(خ ض ع) يدور حول "انحناء ما مِن شأنِه أن يَنتصِب، لرخاوة أثنائه"(٢).

ويدخل في معنى الانحناء: التطامن، والتذلل، والتواضع، والتقاصر، و الِّلين، والانقياد، والمطاوعة،..وغير ذلك مما يدل على العدول عن الانتصاب والصلابة والخشونة والجزالة، وغيرها.

وهذا التطامن والانحناء- وإن كان في الأصل أن يكون في الرقبة والرأس والظهر- يطلق على غيرها من قبيل المجاز.

ولم يذكر القاموس إلا (أخضع): لان كلامه للمرأة، كخاضعها (٣).

وفي اللسان: خضع الرجل وأخضع ألان كلامه للمرأة(١).

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (خضع)٢/ ١٩١.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصَّل لأستاذي الدكتور محمد حسن جبل (خضع)٣٧٨، ط/ المربي.

(٣) القاموس المحيط(خضع) ٧١٣.

وفي المفردات للراغب [٢]: الخضوع: الخشوع، ورجل خُضَعَة: كثير الخضوع، ويقال: خَضَّعتُ اللحم، أي: قطَّعته، وظليم أخضَع: في عنقه تطامن.

و يقال: "خَضَعَ الأَسِيرُ" : ذَلَّ وانْقَادَ، و "خَضَعَ لِلَّهِ": تَوَاضَعَ، و"خَضَعَ بالقَوْلِ" : لَيَّنَهُ القوْلُ، أي: لاَنَ لِلْقَوْلِ، و "خَضَعَ لَهُ ": لاَنَ كَلاَمُهُ، و "خَضَعَ لَهُ الكَلاَمَ" : لَيَّنَهُ، و "خَضَعَ النَّجْمُ" : مَالَ إِلَى الغُرُوبِ، و "خَضَعَهُ إِلَى الشَّرِّ" : دَعَاهُ[٣].

قال ابن الأعرابي: الخُضُع: اللواتي قد خَضَعن بالقول ومِلْن. قال: والرجل يُخاضِعُ المرأةَ وهي تُخاضِعُه، إذا خَضَع لها بكلام وخَضَعتْ له فيطمعُ فيها. [٤]

الفرق بين الخضوع وما يقاربه في المعنى.

أولًا- الفرق بين الخضوع والخشوع:

الخشوع أعم من الخضوع؛ لأن الخضوع يكون في البدن، والخشوع يكون في البدن والصوت والبصر، يقال: خشع في الصلاة. قال الله تعالى:(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ)(المؤمنون/ ٢)، وفي الحديث: قال النبي- صلى الله عليه وسلم- لرجل رآه يعبث بلحيته في الصلاة: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه». [٥]

---

(١) لسان العرب (خضع).

(٢) ينظر: المفردات للراغب ٢٠٤،٢٠٥.

(٣) استعمالات مختارة من معجم الغني، لعبد الغني أبي العزم (خضع) ١١٢٩١.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري(خضع) ١/ ١٠٩.

(٥) روي في مصنف ابن أبي شيبة٢/ ٨٦،برقم٦٧٨٧، ولم يسنده إلى رسول الله-

وقال تعالى في البصر: (خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ) وقال: (خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ)..وقال تعالى في الصوت: (وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ) أي: سكنت. [1]

والْخُضوع على مَا قيل فِعْلٌ يَرَى فَاعلُه أَن من يَخضع لَهُ فَوْقَه وَأَنَّه أعظمُ مِنْهُ، والخشوعُ فِي الْكَلَام خَاصَّةً، وَقيل: هما من أَفعَال الْقُلُوب.

وَعند بَعضهم أَن الْخُشُوع لَا يكون إلا مَعَ خوف الخاشع المخشوعَ لَهُ، وَلَا يكون تكلفًا؛ وَلِهَذَا يُضَاف إِلَى الْقلب، فَيُقَال خشع قلبه ..والخضوع هُوَ التطامن والتطأطؤ وَلَا يَقْتَضِي أَن يكون مَعَه خوف وَلِهَذَا لَا يجوز إِضَافَته إِلَى الْقلب، فَيُقَال خضع قلبه، وَقد يجوز أَن يخضع الْإِنْسَان تكلفًا من غير أَن يعْتَقد أَن المخضوع لَهُ فَوْقه وَلَا يكون الْخُشُوع كَذَلِك وَقَالَ بَعضهم الخضوع قريب الْمَعْنى من الْخُشُوع إِلَّا أَن الخضوع فِي الْبدن وَالْإِقْرَار بالاستجداء والخشوع فِي الصَّوْت[2].

وقال أبو السعود: الخشوع: الإخبات، والخضوع: اللين والانقياد ولذلك يقال: الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب.[3]

و أرى أنَّ للقلب أثرًا في الخضوع، بيد أنَّ تأثيره في الخشوع أعظم؛

صلى الله عليه وسلم- بل هو مأثور عن سَعِيد بْن الْمُسَيِّب- أنه رأى رَجُلًا وَهُوَ يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا، لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ» .

(1) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى ٣/ ١٨١١.

(2) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٢٤٩، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

(3) تفسير أبي السعود١/ ٩٨.

فإن مظاهر الخشوع تبدو أكثر على الخاشع، في البدن والبصر والصوت.

ثانيًا- الفرق بين الخضوع والذل:

أَن الخضوع مَا ذَكرْنَاهُ، والذل: الانقياد كَرها، ونقيضه الْعِزّ، وَهُوَ الإباء والامتناع والانقياد على كره، وفاعله ذليل، والذل والانقياد طَوْعًا وفاعله ذَلُول. (١)

ثالثًا- الفرق بين الخضوع والخنوع:

الخنوع: الغدر، والخانع: الذي يضع رأسه للسوأة، يأتي أمرًا قبيحًا، فيرجع عارُه عليه، فيستحي منه، وينكس رأسه. قال: والكنوع: التصاغر عند المسألة. وقال غيره: الكنوع: الذل والخضوع.(٢)

رابعًا- الفرق بين الخضوع والإخبات:

أَن المُخْبِت هُوَ المُطْمَئِن بِالْإِيمَان، وَقيل: هُوَ الْمُجْتَهد بِالْعبَادَة، وَقيل: الملازم للطاعة والسكون، وَهُوَ من أَسمَاء الممدوح، مثل الْمُؤمن والمتقي، وَلَيْسَ كَذَلِك الخضوع؛ لِأَنَّهُ يكون مدحًا وذمًا، وأصل الإخبات: أَن يصير إِلَى خبت، تَقول: أخبت إِذا صَار إِلَى خبت، وَهُوَ الأَرْض المستوية الواسعة، كَمَا تَقول أنجد إِذا صَار إِلَى نجد، فالإخبات على مَا يُوجِبهُ الِاشْتِقَاق هُوَ الخضوع المستمر على اسْتِوَاء. (٣)

الخضوع بين الحقيقة والمجاز:

يأتي الخضوع حقيقةً للتعبير عن التطامن والانحناء والتذلل، نحو: خَضَعَ الولد لأبيه، وخضَع الرجلَ الكِبَرُ، واختضع الصقر: طأمن رأسه

(١) الفروق اللغوية ٢٥٠.
(٢) تهذيب اللغة (خنع) ١/ ٢٠٧.
(٣) الفروق اللغوية ٢٥٠.

للانقضاض[1]، وخَضَعَ للهِ عَزَّ وجَلَّ كَمَنَعَ يَخْضَعُ خُضُوعاً : ذَلَّ وتَطامَنَ وتَوَاضَع .

ومن الكناية والمجاز: خضعت الإبل في سيرها: جدّت، وهن خواضع، لأنها إذا جدت طأمنت أعناقها. قال جرير:

ولَقَدْ ذَكَرْتُكِ والمَطِيُّ خَوَاضِعٌ ... وكَأَنَّهُنَّ قَطَاً فَلاةٍ مَجْهَل

وخَضَعَتِ الشَّمْسُ والنُّجُومُ: مالتْ لِلْمَغِيب، كما قيل: ضَرَعَتْ وضَجَعَتْ. والنُّجُومُ خَوَاضعُ وضوارعُ وضواجعُ[2].

وقالَ ابنُ أَحْمَرَ :

تَكَادُ الشَمْسُ تخْضَعُ حينَ تَبْدو ... لَهُنَّ وما وُبِدْنَ ومالُحِينا

ومِنْهُ قَوْلُه تَعَالَى : " فظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ "(الشعراء/ ٤)، أَيْ مُنْقَادِينَ .

وفِي إِتْيَانِ خاضِعينَ مع ذِكْرِ الأَعْنَاقِ كَلامٌ وَاسِعٌ لِلْعُلَمَاءِ كأَبِي عَمْرٍو والكِسَائِيّ والفَرّاءِ، وجَعَلَهُ بَعْضُهُم بَدَلَ غَلَطٍ . والَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الخَلِيلُ وسِيبَوَيْه أَنَّهُ لَمّا لَمْ يَكُنِ الخُضُوعُ إِلاَّ خُضُوعَ الأَعْنَاقِ جازَ أَنْ يُخْبِرَ عن المُضَافِ إِلَيْهِ.[3]

وفي قوله تعالى: (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)(الشعراء/ ٤)، قرئ: فظلت أعناقُهم لها خاضعةً[4]، وقرئ: (خَاضِعَاتٍ)[5]، وعليهما

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري١/ ٢٥٣.

(٢) أساس البلاغة ١/ ٢٥٣.

(٣) تاج العروس(خضع)٢٠/ ٥١١.

(٤) قراءة شاذة، نسبت إلى ابن أبي عبلة كما في المغني في القراءات لابن الدهان٣/ ١٣٧٢.

(٥) قراءة شاذة، نسبت إلى عبد الله كما في المرجع السابق ذاته.

فلا إشكالَ في الإخبار عن الأعناق بكونها خاضعةً أو خاضعاتٍ، إنما الإشكال في (خاضعين).

وقد علق الزمخشري على قراءة العامة (خاضعين) بقوله:«فإن قلت: كيف صح مجيء {خاضعين} خبرًا عن الأعناق؟ قلتُ: أصلُ الكلام فَظَلُّوا لها خاضعينَ، فأُقْحِمَتِ الأعناقُ لبيانِ موضع الخضوع، وتُرِكَ الكلامُ على أصلِه، كقوله: ذَهبَتْ أَهْلُ اليَمَامَةِ، كأنَّ الأهلَ غيرُ مذكورٍ، أو لمَّا وُصِفَتْ بالخضوع الذي هُوَ للعقلاءِ قيل: خاضعينَ، كقوله تعالى: {لي سَاجِدِينَ}(يوسف/ ٤)، وقيل: أعناقُ النَّاسِ: رُؤَسَاؤُهُمْ ومُقَدِّمُوهُمْ، شُبِّهُوا بالأَعْنَاقِ،. . وقيل: جماعاتُ النَّاسِ. يقال: جاءَنِي عُنُقٌ منَ الناس لِفَوج منهم»[1].

وقيل: أريد الجارحة، فقال ابن عيسى: هو على حذف مضافٍ، أي أصحاب الأعناق، ورُوعِيَ هذا المحذوفُ في {خَاضِعِينَ} أوْ لَا حَذْفَ، ولكنَّه اكْتَسَى مِنْ إضَافَتِه للمذكَّرِ العاقلِ وصفُه، فأخبر عنه إخباره[2].

الفعل(خضع) بين التعدى واللزوم:

وخَضَعَ : سَكَنَ وانْقادَ وأَيْضـاً سَكَّنَ لازِمٌ مُتَعَدٍّ . يُقَالُ : خَضَعْتُهُ فخَضَعَ، أَي: سَكَّنْتُهُ فسَكَنَ فمِن اللّازِم قَوْلُه تَعالَى : " فَلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ " أَيْ لا تَلِنَّ وقَالَ جَرِيرٌ في تَعْدِيَةِ خَضَعَ :أَعَدَّ اللهُ لِلشُّعَرَاءِ مِنِّي ... صَوَاعِقَ يَخْضَعُونَ لَهَا الرِّقابَا

وخَضَعَ فُلانـاً إِلَى السَّوْأَةِ أَيْ دَعَاهُ فهو خاضِعٌ...وأَخْضَعَ الرَّجُلُ :

---

(١) الكشاف ٣: ٢٩٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٧/ ٥ – ٦.

لاَنَ كَلامُهُ لِلْمَرْأَةِ هكَذَا هو في العُبَابِ وفي اللِّسَان : خَضَعَ الرجلُ وأَخْضَعَ : أَلانَ كلامَه للمرأَة ومنه حديثُ عمرَ – رَضِيَ اللهُ عنه – أَن رجلاً مرَّ برجل وامرأَةٍ قد خضَعا بينهما حديثًا، فضربه حَتَّى شجَّه، فرُفع إِلى عمرَ – رضي اللهُ عنه – فأَهدره.

أَي لَيَّنَا بينهما الحديثَ وتكلَّما بمَا يُطْمِعُ كلاًّ منهما في الآخر.

ومن هذا قوله (فلا تَخْضَعْن بالقول فيطْمَع الذي في قلبه مرض) الخُضوع: الانْقِيادُ والمُطاوعةُ.[1]

الحروف التي يتعدى بها الفعل (خضع) بين اللغة والقرآن:

والفعل(خضع) يتعدى في اللغة ب(الباء) و(اللام) و(في) و(إلى):

ولم ينص أصحاب المعاجم على مثال واضح في تعديته بالباء سوى ما جاء في الآية الكريمة في قوله: (فلا تخضعن بالقول)[2]، و نصوا على تعديته باللام، نحو: خضع الرجل للمرأة، وأخضع: إذا لان كلامه للمرأة[3]،خضَع لله: خشع وذلَّ له، أطاعه، تواضع له. [4]، وتعديته ب(في) نحو: خضع في الحديث، أي: لان فيه، وتعديته ب(إلى) نحو: هذا الأمر لا يخضع إلى قياس، ولم يتعدَّ الفعل (خضع) إلى بالباء واللام، كما في الموضعين:(فلا تخضعن بالقول) و(فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ).

(1) تاج العروس (خضع)٢٠/ ٥١٤.

(2) ينظر: القرآن الكريم وتفاعل المعاني دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى ١/ ٥٢٧.

(3) كتاب الأفعال ١/ ٤٦٣.

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة(خضع) ٦٥٧.

المبحث الثانى
وقفات تدبرية فى قوله تعالى: (فلا تخضعن بالقول):

الوقفة الأولى- مع سياق الآية الكريمة:

{يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } [الأحزاب:٣٢].

وقعت الآية الكريمة في سياق مخاطبة الله نبيَّه محمدًا-صلى الله عليه وسلم- من أجل تخيير أزواجه بين الحياة الدنيا وزينتها- فيطلقهن ويسرحهن سراحا جميلا- وبين الدار الآخرة، فيَرْضَيْنَ بالله ورسولِه، ويَبْقَيْنَ في عِصْمَتِهِ-صلى الله عليه وسلم.

"ولما كان لكلِّ حَقٍّ حَقِيقَةٌ، ولكلِّ قَولٍ صَادِقٍ بيانٌ، قال مُؤْذِنًا بفضلهن: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ} أي: الذي أنتن من أعلم الناس بما بينه وبين الله، من الإنباء بدقائق الأمور، وخفايا الأسرار، وما له من الزلفى لديه، {لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء} قال البغوي[1]: ولم يقل: كواحدة، لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث - انتهى، فالمعنى كجماعات من جماعات النساء إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد فيهن جماعة تساويكن في الفضل؛ لِمَا خصكن الله به من قربة، بقرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزول الوحي الذي بينه وبين الله في بيوتكن". [2]

وقوله: ((يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ))، تشريف لنساء النبي صلى الله عليه وسلم

---

(1) تفسير البغوي٣/ ٦٣٥.

(2) نظم الدرر ١٥/ ٣٤٣.

بالتخصيص بالخطاب، وقوله: {لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ} [الأحزاب:٣٢] أي: أنتن لستن كغيركن من النساء، فقد شرفكن الله سبحانه وتعالى بأن جعلكن زوجاتٍ للنبي صلى الله عليه وسلم.

فقوله تعالى: {إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ} [الأحزاب:٣٢] أي: احذرن من الخضوع بالقول مع الرجال.

ومعنى الخضوع بالقول: اللين والتكسر في القول بترخيم الصوت وتليينه إظهاراً للتواضع.

فعلى المرأة أن تلتزم وقارها، وإذا احتاجت لشيء تكلمت على قدر ما تحتاج، ولا ينبغي الإكثار من الكلام مع الرجل الأجنبي.

قوله تعالى: {وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [الأحزاب:٣٢] يعني: في كلامكن مع الناس.

أمرهن الله سبحانه وتعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمرأة يجب عليها إذا خاطبت الأجانب حتى وإن كانوا من المحارم بالمصاهرة مثلاً أن تكون في كلامها غير رافعة للصوت، ولا تعتاد ذلك، ولتكن حازمة في كلامها، لا لين فيه ولا تكسر، إلا أن يكونكلامًا لينًا مع زوجها أو مع محارمها مثلاً، فهي مأمورة بخفض صوتها، وليكن خفض الصوت لها عادة[1].

{فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ} ولم يَقُلْ: «فَلَا تَلِنَّ بِالْقَوْلِ»؛ وذلك لأن المنهيَّ عنه القولُ اللَّيِّنُ الَّذِي فيه خضوعُ المرأةِ للرجل، وَانْكِسَارُهَا عنده، والخاضعُ هو: الَّذِي يطمع فيه، بخلاف مَنْ تَكَلَّمَ كلامًا لَيِّنًا ليس

(١) ينظر: تفسير أحمد حطيبة ٣/ ٢٧٢.

فيه خضوعٌ، بل ربما صار فيه ترفعٌ وَقَهْرٌ للخَصْم.

{فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} أي: مرضُ شهوةِ الحرام، فإنه مُسْتَعِدٌّ، ينتظر أَدْنَى مُحَرِّكٍ يحركه؛ لأن قلبَه غيرُ صحيح؛ فإن القلبَ الصحيحَ ليس فيه شهوةٌ لِما حَرَّمَ اللهُ[١].

الوقفة الثانية- خلاصة أقوال المفسرين في معنى النهي عن خضوع المرأة بالقول:

أولًا- تتجه عبارات أكثر المفسرين[٢] إلى أن (القول) المذكور في الآية الكريمة خاص بالنساء؛ فهنَّ المُؤَثِّراتُ، ولذا نَهَاهُنَّ عن الخضوع بقولهنَّ؛ حتى لا يطمعَ الذي في قلبه مرض، ومنه قول الطبري: "فَلَا تَلِنَّ بِالْقَوْلِ لِلرِّجَالِ فِيمَا يَبْتَغِيه أَهْل الْفَاحِشَة مِنْكُنَّ"[٣]

ثانيًا- حاول بعض العلماء الجمع بين كونها مؤثرةً ومتأثرةً- بعباراتٍ تحتملُ ذينِكَ الأمرينِ معًا، كقولِ أبي السعود:

"أي لا تُجِبْنَ بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات.[٤]

وقول القطان:

" فلا تُجِبْنَ أحداً بقول ليِّنٍ مريب، في قلبه ريبة وفجور، وقلن قولًا حسنًا لطيفًا بعيدًا عن الرِيبة[٥]. فقوله: (لا تجبن) إشارة إلى أن إجابتهن

(١) ينظر: تفسير غريب القرآن للكواري ٣٣/ ٣٢.

(٢) مما بين يدي من المصادر والمراجع، وقد اطلعت على جميع التفاسير الموجودة على المكتبة الشاملة.

(٣) تفسير الطبري٢٠/ ٢٥٧.

(٤) تفسير أبي السعود٧/ ١٠٢.

(٥) تيسير التفسير للقطان ٣/ ١٠٧.

عن قولٍ صادرٍ من الآخر، وقد صُحِّفَت في بعض التفاسير إلى (تَجِئْنَ)، و قوله:(خاضعًا ليِّنًا) يحتمل أن يكون مفعولًا ل(تجبن)؛ فيكون الآخر هو الخاضع اللين، كما يحتمل أن يكونا حالين من الضمير في (تجبن)؛ أي: لا يكن قولكن عند إجابتكن خاضعةً لينةً.

ثالثًا- اختلفوا في معنى الخضوع بالقول على أوجه:

الوجه الأول: (هيئة القول وصفاته)، من حيث تليين الكلام وترقيقه بانكسار، وترخيم الصوت(وهو الصوت الحسن، الرقيق الشجيّ) ، كقول ابن كثير: ومعنى هذا: أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها[1]، وقول ابن عباس: فلا تَرْخُصْنَ بالقول[2]، و هو القول الناعم الرقيق اللين[3].

وقول السمعاني: أَن تتَكَلَّم على وَجه يَقع بِشَهْوَة الْمُرِيب[4].

وقول الشعراوي: " أنْ يكون في قول المرأة حين تخاطب الرجال ليونة، أو تكسُّر، أو ميوعة، أو أن يكون مع القول نظرات أو اقتراب"[5].

الوجه الثاني: نوع القول من حيث الألفاظ، كقول الحسن: لا

---

(1) تفسير ابن كثير ٦/ ٤٠٩.

(2) من الثلاثي(رَخُص) من باب (كَرُمَ) رخُص الغُصْنُ: لان ونعُم "رخُصت بشرتُها

(3) ينظر: العين، (رخص) ٤/ ١٨٤، وفيه: الرخص: الناعم من كل شيء. ومن المرأة بشرتها ورقتها، ورخاصة أناملها: لينها. وقد رخص رخاصة ورخوصة أيضا. وثوب رخيص: ناعم.

(4) تفسير القرآن للسمعاني٤/ ٢٧٩.

(5) تفسير الشعراوي١٩/ ١٢٠١٩.

تتكلمن بالرفث ، وقول السدي: لا ترفثن بالقول[١]، وقول مقاتل: فلا «تومين» بقول يقارف الفاحشة[٢]، وقول الكلبي: الكلام الذي فيه ما يهوى المريب[٣]، وقول الزجاج: لا تَقلْن قولاً يجد به مُنَافِقٌ سَبيلاً إلى أن يطمع في مَوَافقتكنَّ له[٤].

الوجه الثالث: ضعف القول(درجته): كالبُحَّة في الصوت، والصوت الهادئ، كصوت النائم. وقد حاول بعض العلماء التعبير عن ذلك، كقول النسفي: (أي إذا كلمتن الرجال من وراء الحجاب فلا تجئن بقولكن خاضعا أي لينا خنثا مثل كلام المريبات)[٥].

الوجه الرابع: مطلق كلام النساء الذي يدخل في قلوب الرجال، كما قاله ابن زيد، وهذا يشمل اللفظ والصوت، كما قال بعضهم: فلا تليّنّ الكلام، ولا تلطّفنَ الصوت[٦].

الوجه الخامس: مطلق كلام الرجال الذي يدخل في قلوب النساء، وقد يكون الخضوع في القول في نفس الألفاظ ورخامتها، وإن لم يكن المعنى مريبا، والعرب تستعمل لفظة الخضوع بمعنى الميل في الغزل ومنه قول ليلى الأخيلية حين قال لها الحجاج: هل رأيت قط من توبة شيئا تكرهينه، قالت: لا والله أيها الأمير إلا أنه أنشدني يوما شعرا ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر فأنشدَتْه: [الطويل]

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٩/ ٣١٣٠.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان٣/ ٤٨٨.
(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين٣/ ٣٩٧.
(٤) معاني القرآن وإعرابه٤/ ٢٢٤.
(٥) تفسير النسفي٣/ ٢٤٣.
(٦) دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر٢/ ٤٦٠.

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها ... فليس إليها ما حييتَ سبيلُ

الحكاية، وقال ابن زيد: خضوع القول ما يدخل في القلوب الغزل[1].

الوقفة الثالثة: الوقف والابتداء في الآية وأثره في المعنى:

قوله: (إِنِ اتَّقَيْتُنَّ) قيل: متصل بالأول، أي "لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ" بشرط الاتقاء.

وقيل: إن الكلام تم على قوله: "مِنَ النِّسَاءِ"، ثم قال: (إِنِ اتَّقَيْتُنَّ)، فهو شرط جزاؤه فلا تخضعن بالقول[2].

قوله تعالى: إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون متعلقا بما قبله على معنى لستن كأحد إن اتقيتن فإن الأكرم عند الله هو الأتقى وثانيهما: أن يكون متعلقا بما بعده على معنى إن اتقيتن فلا تخضعن والله تعالى لما منعهن من الفاحشة وهي الفعل القبيح منعهن من مقدماتها وهي المحادثة مع الرجال والانقياد في الكلام للفاسق[3].

ما يترتب على الوقف على قوله: (لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ):

الوقف على قوله: (لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ) تام، والجملة تؤكد جملة النداء قبلها؛ لأن إضافة النساء إلى النبي- فوق أنها تشريف لهن- تمنحهن خصوصية في درجة الإيمان بالنبي-صلى الله عليه وسلم- والوحي الذي يتنزل عليه، فكأن الجملة التالية نتيجة منطقية

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ٤/ ٣٨٢.
(2) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل ٣/ ٩١٦.
(3) ينظر: تفسير الرازي ٢٥/ ١٦٧.

لها، وتأكيد لمكانتهن العالية، ومنزلتهن الرفيعة.

ولما ذكر أن عذابهن ضعف عذاب غيرهن وأجرهن مثلا أجر غيرهن صرن كالحرائر بالنسبة إلى الإماء، فقال: لستن كأحد ومعنى قول القائل ليس فلان كآحاد الناس، يعني ليس فيه مجرد كونه إنسانًا، بل وصف أخص موجود فيه، وهو كونه عالمًا أو عاملًا أو نسيبًا أو حسيبًا، فإن الوصف الأخص إذا وجد لا يبقى التعريف بالأعم، فإن من عرَف رجلًا ولم يَعرِف منه غيرَ كونِه رجلًا - يقول: رأيتُ رجلًا،فإن عرَف علمَه يقول رأيت زيدًا أو عمرًا، فكذلك قوله تعالى: (لستُن كأحدٍ منَ النِّساء) يعني فِيكُنَّ غيرُ ذلك أمرٌ لا يوجد في غَيرِكن وهو كونُكن أمهاتِ جميع المؤمنين، وزوجاتِ خيرِ المرسلين، وكما أن محمدًا عليه السلام ليس كأحدٍ من الرجال، كما قال عليه السلام: «لستُ كأحدِكم»كذلك قرائبه اللاتي يَشْرُفْن به، وبين الزوجين نوع من الكفاءة.

ولما ذكر الله سبحانه ما اختص به أمهاتِ المؤمنين من مضاعفة العذاب والثواب .. أردف ذلك بيانَ أنَّ لهنَّ مكانةً على بقية النساء، ثم نهاهنَّ عن رخامةِ الصوت، ولينِ الكلام إذا هنَّ استقبلنَ أحدًا، حتى لا يطمعَ فيهنَّ مَن في قلبِه نِفاقٌ.[1]

يكون المعنى فيها: أن الإنسان أحيانًا إذا اتقى الله سبحانه وتعالى يتنازل، فتواضعه يجعل غيره يخدعه ويطمع فيه.

إذاً: المعنى هنا: اتق الله سبحانه وتعالى، ولكن لا تكن ليِّنًا بحيث

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن٢٣/ ٦.

تخدع في الشيء، والنساء في ذلك أولى، فالمرأة تكون تقية فتتواضع، ولكن لا يجعلها هذا التواضع تلين أمام الرجال في القول، والرجل حين يتواضع للرجال أكثر من حده ينقص قدره عندهم فلا يعرفون قدره.

والمرأة كذلك، فلو أن نساء النبي عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهن يخضعن في القول مع الرجال بدعوى التواضع لطمع المنافق والفاسق.

والذي يخاطب بذلك هو الله سبحانه وتعالى؛ لأنه أعلم بما في القلوب.

فإذا كانت المرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم، والتي تربت في بيت النبي صلى الله عليه وسلم يحذرها الله من الخضوع في القول، فنساء المؤمنين أولى بهذا الحذر.

أي: إذا استقبلتن أحدا من الرجال فلا ترقّقن الكلام فيطمع فى الخيانة من فى قلبه فساد وريبة من فسق ونفاق، وقلن قولًا بعيدًا عن الريبة غيرَ مُطمِع لأحد.

وتفسير الاتقاء بهذا المعنى أبلغ فى مدحهن؛ إذ لم يعلق فضلهن على التقوى، ولا نهيهن عن الخضوع بها إذ هن متقيات لله فى أنفسهن، والتعليق يقتضى بظاهره أنهن لسن متحليات بالتقوى قاله فى البحر، وقال فى الكشاف: إن المعنى إن أردتن التقوى، أو إن كنتن متقيات اهـ[1].

(١) تفسير المراغي ٢٢/ ٦.

ما يترتب على الوقف على قوله : (إن اتقيتن):

يجوز الوقف على (اتَّقَيْتُنَّ)، وهو وقف كافٍ[١]، وقيل حسن[٢]، وقال علي بن سليمان الأخفش: تام[٣].وله معنى، فالمعنى: لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف، ثم قيد هذا الشرف العظيم بقيد فقال: إن اتقيتن فبين سبحانه أن هذه الفضيلة لهن إنما تكون بملازمتهن للتقوى، لا لمجرد اتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وقد وقعت منهن ولله الحمد التقوى البينة، والإيمان الخالص، والمشي على طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته. وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أي: إن اتقيتن فلستن كأحد من النساء. وقيل: إن جوابه فلا تخضعن والأول أولى[٤].

فقوله: {لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ} [الأحزاب:٣٢]، أي: إذا اتقيتن الله وتعالى لستن كغيركن من النساء، ولكنكن أعلى منزلة وأشرف موضعًا، فـ (لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ) بتقواكن لله سبحانه وتعالى، أي: (إِنِ اتَّقَيْتُنَّ) صرتن عند الله عز وجل أشرف وأفضل من غيركن من النساء، قال ابن عباس: يريد ليس قدرُكن عندي مثلَ قدرِ غيرِكن من النساء الصالحات، أنتن أكرمُ عليَّ وأنا بكنَّ أرحم، وثوابُكن أعظم.

---

(١) المكتفى لأبي عمرو الداني١٦٦.
(٢) إيضاح الوقف والابتدا ٢/ ٨٤٢
(٣) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ٢/ ١٦٣.
(٤) فتح القدير للشوكاني٤/ ٣١٩.

إن اتقيتن الله، وشرط عليهن بالتقوى بيانًا أن فضيلتهن إنما تكون بالتقوى، لا باتصالهن بالنبي صلى الله عليه وسلم[1].

فالفضيلة عند الله بكونهن تقياتٍ، ثم بكونهن نساءَ النبي صلوات الله وسلامه عليه.

وفي التحرير والتنوير:

والأحسن أن يكون الوقف على (إن اتقيتن)، وقوله: (فلا تخضعن) ابتداء تفريع وليس هو جواب الشرط.

والخضوع: حقيقته التذلل، وأطلق هنا على الرقة لمشابهتها التذلل[2].

معنى النهي عن الخضوع بالقول:

النهي عن الخضوع بالقول إشارة إلى التحذير مما هو زائد على المعتاد في كلام النساء من الرقة وذلك ترخيم الصوت، أي ليكن كلامكن جزلا[3].

الوقفة الرابعة: تفسير أبي حيان (التقوى) ب(الاستقبال) والرد عليه:

قال: وعندي أنه محمول على أن معناه: إن استقبلتن أحدًا، فلا تخضعن. واتقى بمعنى: استقبل معروف في اللغة، قال النابغة:

سَقَطَ النَّصيفُ ولَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ... فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ[4]

أي: استقبلتنا باليد، ويكون هذا المعنى أبلغ في مدحهن؛ إذْ لم

(1) التفسير الوسيط للواحدي٣/ ٤٦٩.

(2)التحرير والتنوير٢١/ ٢٤٠.

(3) التحرير والتنوير ٢٢/ ٩.

(4) ديوان النابغة الذبياني ص ٢٤. ومعنى النصيف: الخمار، ومنه الحديث الآخر في الحور العين: (ولنصيف إحداهن على رأسها خير من الدنيا وما فيها).

يعلق فضيلتهن على التقوى، ولا علق نهيهن عن الخضوع بها؛ إذ هن متقيات لله في أنفسهن، والتعليق يقتضي ظاهره أنهن لسن متحليات بالتقوى.

رد الشيخ الآلوسي والتعليق عليه:

قال الآلوسي: "اتقي بمعنى استقبل- وإن كان صحيحًا لغةً، وقد ورد في القرآن كثيرًا كقوله تعالى : (أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ)- إلا أنه لا يتأتى ههنا؛ لأنه لا يستعمل في ذلك المعنى إلا مع المتعلَّق الذي تحصل به الوقاية كقوله سبحانه : (بِوَجْهِهِ) وقول النابغة (باليد)، وما استدل به أمره سهل"[1].

قلت: وما ردَّ به الآلوسي على أبي حيان من عدم استعمال (الاتقاء) بمعنى(الاستقبال) إلا مع المتعلَّق الذي يُتَّقى به- فيه نظر؛ لأن حذف المتعلَّق لا يمنع من صحة اللغة،ولاسيما في هذه الآية الكريمة؛ إذ المراد النهي عن الخضوع بالقول في عموم الاستقبال، ولا نعدم الشواهد على ذلك المعنى دون ذكر المتعلَّق، كقول الشاعر:

كَأَنَّ شُجَاعًا أَقْرَعَ الرَّأْسِ يَتَّقِي ... إِذَا مَا تَلَاقَى الْخَيْلُ أَوْ جِلْدُ أَجْرَبَا[2].

كما أن استعمال (إنْ) في قوله: ((إن اتقيتن) ينسجم مع تفسير الاتقاء بالاستقبال، حيث إنها تفيد قلة وقوع استقبالهن للرجال، ولاسيما في الفترة التي أعقبت نزول آية الحجاب، (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ

(١) روح المعاني ٢٢/ ٥.

(٢) غريب الحديث، لأبي إسحاق [١٩٨ - ٢٨٥]، د. سليمان إبراهيم محمد العايد.

مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ)(الأحزاب/ ٥٣). والله أعلم

الوقفة الخامسة: معنى الباء في قوله: (بالقول):

الباء في قوله: بالقول يجوز أن تكون للتعدية بمنزلة همزة التعدية، أي لا تخضعن القول، أي تجعلنه خاضعا ذليلا، أي رقيقا متفككا. وموقع الباء هنا أحسن من موقع همزة التعدية لأن باء التعدية جاءت من باء المصاحبة على ما بينه المحققون من النحاة أن أصل قولك: ذهبت بزيد، أنك ذهبت مصاحبا له فأنت أذهبته معك، ثم تنوسي معنى المصاحبة في نحو: ذهب الله بنورهم [البقرة: ١٧] ، فلما كان التفكك والتزيين للقول يتبع تفكك القائل أسند الخضوع إليهن في صورة، وأفيدت التعدية بالباء.

ويجوز أن تكون الباء بمعنى (في) ، أي لا يكن منكن لين في القول.

وقد فسر المرادي معنى التعدية في الباء بقوله:

وباء التعدية هي القائمة مقام الهمزة، في إيصال معنى اللازم إلى المفعول به. نحو " ذهب الله بنورهم "، و " لذهب بسمعهم ". وقد وردت مع المتعدي في قولهم: صككت الحجر بالحجر، ودفعت بعض الناس ببعض. فلذلك قيل: الصواب قول بعضهم: هي الداخلة على الفاعل، فتصيره مفعولاً. ليشمل المتعدي واللازم. [1].

وذكر بعض العلماء أن معنى الباء هنا للملابسة، أي: لا يلتبس ويمتزج كلامكن بالخضوع والرقة. [2]

---

(١) الجنى الداني في حروف المعاني ٣٧.

(٢) ينظر القرآن الكريم وتفاعل المعاني ١/ ٥٢٧.

وكأنه يعني بالملابسة الإلصاق، وهو أصل معانيها، ولا تكاد الباء تنفك عنه، وإن وجد لها معنى آخر[١]، والإلصاق حقيقي نحو أمسكت الحبل بيدي، ومجازي نحومررت بزيد، أي: التصق مروري بموضع يقرب منه.

قلتُ: معنى التعدية للباء أنَّها داخلة على المفعول، فكأن الفعل متعدٍ، فهو مثل قولنا: فلا تُخضِعْنَ القولَ.

وفرق بين التعبيرين؛ فقوله: (فلا تَخْضَعنَ بالقول) سُلِّط النهيُ على خضوع المرأة ذاتها، فهي منهية عن أن تخضَع، وقولنا: فلا تُخضعْن القول- سُلِّط النهيُ على إخضاع القول.

وما المانع أن تكون الباء هنا للسببية؟!

ويكون المعنى: إن اتقيتن(بمعنى التقوى الشرعي) فلا تحملْكن شدةُ تقواكُكُنَّ وتواضعِكُنَّ على التأثر القلبي، والميل الفطرى تُجاه الأجانب من الرجال بسبب القول-كذا باختيار أعم الألفاظ الدالة على الكلام وغيره من الأصوات المعبرة أو المثيرة، وكذا من دون إضافة القول إلى أحد، ليعمَّ الأجانب جميعًا.

وحينئذٍ يمكن –على رأى من يُجَوِّز نسبة الخضوع إلى القلب- أن يكون النهي عن خضوع قلب المرأة ذاته، ومن ثم خضوعها نفسِها.

وحينما تتأثر المرأة بالقول اللين من الرجل يكون تجاوبُها وردُّها حاملًا صفاتِ خضوعِها لقوله؛ فيأتي كلامُها ليِّنًا كذلك؛ فيطمعَ الذي في قلبه مرض.

ويتضح معنى السببية أكثر إذا قلنا: فلا تُخْدَعْن بقول أحد.

وقوله: (وقلن قولًا معروفًا) جاء عَقِيْبَ النهي عن خضوع المرأة ذاتها بقلبها لقول أحد، فكأنه طهارة للجَنان واللسانِ معًا.

---

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي٣٥.

- وهذا المعنى يستقيم مع سبب نزول الآيات من تَطَلُّع أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى حياة رغيدة مثل بنات كسرى وقيصر -ولا شك أنهن -رضي الله عنهن جُمَعَ- سمعْنَ عن تِيْكَ الحياةِ النَّاعمةِ ولم يشاهدْنَها.

- ومنسجم -كذلك- مع خصوصية الحديث عنهن، وندائهن بهذا النداء الفريد (يا نساء النبي)، فجميع القضايا المعروضة في الآيات الكريمة خاصة بهنَّ صلاحًا وإصلاحًا.

- وفيه إضمار جوابها وإظهار قوله، مراعاة لمقام نساء النبي- صلى الله عليه وسلم.

- و تفسير الخضوع بخضوع المرأة ذاتها لا خضوع قولها حقيقة لا مجاز، وهو الأصل، و ما لا يحتاج إلى تأويل أَولى.

- كما أنه يحتمل المعنيين جميعًا؛ فيكون النهى عن خضوع المرأة بالقول، حتى لا تتأثّر ولا تؤثِّر، وعلى رأى الجمهور يكون النهى عن خضوعها بالقول؛ حتى لا تؤثِّر في غيرها؛ فيطمع الذي في قلبه مرض. والله أعلم

الوقفة السادسة: توجيه قراءتى(فيطمعَ -بالنصب- وفيطمع -بالجزم):

وقرأ الجمهور: فيطمع، بفتح الميم ونصب العين، جوابا للنهى، وأبان بن عثمان، وابن هرمز: بالجزم، فكسرت العين لالتقاء الساكنين، نهين عن الخضوع بالقول، ونهى مريض القلب عن الطمع، كأنه قيل: لا تخضع فلا تطمع. وقراءة النصب أبلغ، لأنها تقتضى [الطمع بسبب الخضوع][1]، وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على أنه نهى لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الإطماع بالقول الخاضع كأنه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب[2].

---

(1) في البحر المحيط لأبي حيان٨/ ٤٧٦: لأنها تقتضي الخضوع بسبب الطمع، وما أثبتُّه هو الصواب، والله أعلم.

(2) تفسير أبي السعود٧/ ١٠٢.

الدقفة السابعة: المراد بالمرض، والقول المعروف:

المراد بالمرض فيه قولان: أحدهما: أنه شهوة الزنى والفجور، قاله عكرمة والسدى. الثانى: أنه النفاق، قاله قتادة[١]. وكان أكثر من تصيبه الحدود فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم المنافقون، ودار المفسرون حول هذين القولين بعبارات مختلفة، فيدخل فى الأول الريبة و، الميل إلى المعصية، والتشوف إلى الفجور، وهو الفسق والغزل، ويدخل فى الآخر الشك والدغَل. ورجح ابنُ عطية تفسير عكرمة بقوله: (وهذا أصوب، وليس للنفاق مدخل فى هذه الآية).[٢]

معنى القول المعروف:

فيه أوجه: قولًا صحيحًا، قاله الكلبى، عفيفًا، قاله الضحاك. جميلاً[٣]، أى: ما يوجبه الدين والإسلام بغير خضوع فيه، بل بتصريح وبيان[٤].بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنث، أو قولا حسنا مع كونه خشنا[٥]. صحيحًا غليظًا، غير مؤنس مطمع[٦]، وقال ابن كثير: قال ابن زيد: قولًا حسنًا جميلًا معروفًا في الخير، وقيل: ما يكون فيه تغيير المنكر والأمر بالمعروف[٧].

وقيل: صحيحًا جميلاً. ويقال: لا يقلن باللين فيفتن، ولا بالخشن فتؤذين وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا بين ذلك[٨].

السر في الأمر بالقول المعروف بعد النهي عن الخضوع بالقول:

لَمَّا كان النهيُ عن الخضوعِ بالقولِ مَظِنَّةَ الدعوةِ إلى الإغلاظِ في القولِ

---

(١) تفسير الماوردي ٤/ ٣٩٩.
(٢) المحرر الوجيز (١٣/ ٧١).
(٣) تفسير الماوردي = النكت والعيون ٤/ ٣٩٩.
(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣/ ٤٦٩.
(٥) الكشاف للزمخشري٣/ ٥٣٧.
(٦) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن للنيسابوري٢/ ١١٣٥.
(٧) السابق ذاته.
(٨) بحر العلوم٣/ ٥٩.

والعُنفِ مع الخشونةِ فيه؛ قال ربُّنا –جلَّت قُدرتُهُ–: {وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا}.

"فلما نهى القرآن عن التصرف غير المناسب عرض البديل المناسب، وهو القول المعروف، وهو من المرأة القول المعتدل والسماع بالأذن دون أنْ تمتد عينها إلى مُحدِّثها؛ لأن ذلك ربما أطمعه فيها، وجرَّأه عليها، وهذا ما يريد الحق سبحانه أنْ يمنعه"[1].

ما ينبغى للقارئ أو المقرئ عندما يشعر بحالة الخضوع بالقول:

ينبغى للعبد، إذا رأى من نفسه هذه الحالة، وأنه يهش لفعل المحرم عندما يرى أو يسمع كلام من يهواه، ويجد دواعي طمعه قد انصرفت إلى الحرام، فَلْيَعْرِفْ أن ذلك مرض.

فَلْيَجْتَهِدْ فى علاجه، وحسم الخواطر الردية، ومجاهدة نفسه على سلامتها من هذا المرض الخطر، وسؤال الله العصمة والتوفيق، وأن ذلك من حفظ الفرج المأمور به[2].

وما ينبغي على المرأة المسلمة في هذا العصر:

إذا كان هذا الكلام موجهًا إلى نساء النبي خاصة فهو بالأحرى موجه إلى كافة نساء المسلمين، لأنه لفظ خاص يراد به العموم ، ولأن نساء الرسول (صلى الله عليه وسلم) عفيفات منزهات عن مخاطبة الرجال بهذه الكيفية، فكان لزامًا على كل امرأة أن تلتزم العفة وتصون لسانها عن الخضوع بالأقوال والتي تجرها إلى الأفعال المحظورة.

---

(1) تفسير الشعراوي١٩/ ١٢٠٢٠.

(2) ينظر: تفسير السعدي ٦٦٣، بتصرف يسير.

المبحث الثالث

خصائص صوت المرأة وضوابط احترازية في ضوء علم الأصوات

أولًا- الخصائص الصوتية للمرأة .

يمكن لدارس علم الأصوات أن يتعرف على ظواهر صوتية خاصة بالمرأة عند كلامها العادي، أو ترتيلها القرآن الكريم.

يجب أن نبدأ هنا بتحديد اصطلاحات ثلاثة، وهي(الجرس- الحس- الصوت).

فالجَرْس: أي أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة، مطردة كالنقرة على الخشب أو الطبلة. والحس: ما نطقه جهاز صوتي حي، وبخاصة الجهاز النطقي الإنساني؛ فمعناه إذاً ضَيِّقٌ محدود، لا يشتمل في دلالته على معنى الصوت اللغوي؛ لأن الحركات العضوية، التي تدخل في مفهوم الصوت اللغوي، لا تدخل في دلالة هذا الاصطلاح.

والصوت: بالمعنى العام "الذي يشمل اللغوي، وغير اللغوي"، فهو الأثر السمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة، حتى ولو لم يكن مصدره جهازاً صوتيًّا حيًّا.

فما نسمعه من الآلات الموسيقية النفخية، أو الوترية أصوات وكذلك الحس الإنساني صوت، ويتوقف فهم الصوت بهذا المعنى العام على اصطلاحات ثلاثة، يجب التفريق بينها أيضا، هذه الاصطلاحات هي: (درجة الصوت- علو الصوت- قيمة الصوت).

فدرجة الصوت: سُمْكه، أو دِقَّته، ويتوقف السمك والدقة على عدد الذبذبات في وقت معين يحدد عادة بالثانية، فإذا كثر عدد

الذبذبات في الثانية كان الصوت دقيقا، وإذا قل كان الصوت سميكا.

والأوتار الصوتية في الرجل أسمك، وأطول من الأوتار الصوتية في المرأة، ولهذا صار صوت الرجل أسمك من صوت المرأة بصفة عامة، وكلاهما أسمك من صوت الطفل.

ويتوقف علو الصوت على المدى، الذي يصل إليه مصدر الذبذبة في التراوح بين نقطتي غاية ابتعاده من نقطة الصفر، ومعنى ذلك أنه إذا كان الوتر الصوتي الإنساني في حالة صمت سواء كان مقفلا، أو مفتوحا، فهو في النقطة الذبذبية صفر؛ أي أنه غير منتقل، فإذا بدأ في الذبذبة، تحرك إلى أعلى، وأسفل بمدى يتساوى فيه ما بين نقطة الصفر، وغاية الصعود بما بين نقطة الصفر، وغاية الهبوط. فإذا اتسع ذلك المدى كان الصوت عاليا، وإذا ضاق كان الصوت منخفضا. وهذا المدى بدوره يتوقف اتساعه، وضيقه على كمية الهواء الخارج من الرئتين المار بين الأوتار الصوتية، فإذا زادت كمية الهواء اتسع المدى وبالعكس، أما في البيانو مثلا، فيتوقف على قوة الضرب على المفتاح، وفي العود والكمان على قوة ضرب الوتر، أو الضغط عليه.

وبالاختصار يتوقف العلو على الإثارة في جميع ذلك.

وأما قيمة الصوت، فهو أثره السار أو المنفّر في الأذن، ومن المعروف أن أي صوت يمكن تحليله إلى نغمة أساسية، ونغمات أخرى فرعية وأن النغمات الأساسية، "أو نغمة درجة الصوت كما يسمونها"، هي أعلى هذه النغمات، وأن النغمات الفرعية نتيجة ذبذبات، تكون مضاعفات حسابية مع عدد الذبذبة في النغمة

الأساسية[١].

الذي يحدد الفرق بين صوت الرجل الغليظ الخشن وصوت المرأة الحاد الناعم هو درجة الصوت؛ حيث إن درجة صوت الرجل منخفضة، في حين درجة صوت المرأة والطفل عالية، وتعتمد درجة الصوت على التردد فكلما زاد التردد زادت درجة الصوت وبالعكس، أي أن صوت المرأة تردده عالٍ، في حين تردد صوت الرجل منخفض، ولهذا نلْحظ الفرق بين صوت الرجل وصوت المرأة.

كما أنَّ الأحبال الصوتية لدى النساء لا تزيد في الطول عادة عن عشرة ملليمترات، وهي أرفع وأدق من حبال الرجال الصوتية التي قد يصل طولها إلى ١٨ ملليمتراً[٢].

لذا تُحْدِثُ الأولى ذبذباتٍ صوتيةً ناعمةً رقيقةً، في حين يخرج عن الثانية صوتٌ خشنٌ أجشُ غليظ.

إذن: الأحبال الصوتية لدى الرجل هي أطول و أسمك منها لدى المرأة و الطفل، و هذا ما يفسر الاختلاف في الأصوات.

ما الفرق بين شدة الصوت ودرجة الصوت؟

شدة الصوت فهي تمثل طاقة الموجة وتستطيع الأذن من خلالها

---

(١) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان من ص ٥٩وما بعدها باختصار، مكتبة الأنجلو المصرية.

(٢) يراجع في ذلك: الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، وكمال بشر، ومحمد علي الخولي، ودراسة الصوت اللغوي لأحمد مختار عمر٨٢، وأصوات اللغة لعبد الرحمن أيوب، وأصوات اللغة العربية لعبد الغفار هلال٣٤وما بعدها، والمختصر في أصوات اللغة العربية لأستاذي العلامة محمد جبل (رحمه الله، ورحم مشايخنا جميعًا!)

التمييز بين الأصوات العالية والمنخفضة وتعتمد على سعة الموجة.

ودرجة الصوت هي التي تستطيع من خلالها الأذن التمييز بين الأصوات الغليظة مثل صوت الرجل والأصوات الحادة مثل صوت المرأة والطفل، حيث تعتمد درجة الصوت على التردد، فالصوت الغليظ يكون تردده أقل من الصوت الحاد.

ثانيًا- صفات صوتية خاصة لبعض النساء:

هناك صفات صوتية خاصة لبعض النساء يجب التنبيه على الاحتراز منها عند القراءة والإقراء، فإن الرجل ينجذب إلى نبرة صوت المرأة أكثر إذا كانت هادئة ورقيقة وضاحكة.

وأكثر ما يتأثر به الرجل الصوت الذي فيه بُحَّة، والصوت الناعم والبطيء.

فاحذري-بُنَيَّتي الغالية- الفتنةَ، ولا سيما في عصر التقنية !

فإن التقنية الحديثة سلاح ذو حدَّين، يمكن استثمارها في خدمة العلم والدين والمجتمع، كما يمكن لأهل الأهواء أن يجدوا فيها بُغْيتهم، والعياذ بالله من شرهم[1]!

ثالثًا- ضوابط احترازية في الصوت الطبيعي للمرأة:

الضابط الأول: خشونة النطق، وصلابة الصوت، والبعد عن الليونة، و رقة الصوت.

---

(1) فإنَّ هناك تطبيقات تغيير الصوت من صوت رجل إلى صوت امرأة والعكس، وتقوم هذه التطبيقات بتسجيل الصوت أولاً ثم تغيير الجنس، في حين يقوم بعضها بترجمة كل المشاعر من صوت الذكر إلى صوت الأنثى. ونسأل الله السلامة والعافية لنا ولأبنائنا وبناتنا وللأمة الإسلامية!

وقد يتصور بعض الناس أن خشونة النطق، واعتدال الصوت يتعارض مع الذوق العام، وآداب الحديث مع الآخرين.

ولكن شبهة التعارض تزول عند فهم المراد بخشونة النطق، وهو القول المعروف، بلا تكسر أو ليونة، أو رقة تجذب الرجال، مع مراعاة الألفاظ الدالة على توقير المخاطب وتقديره.

وخير مثال على هذا قول ابنة شعيب لموسى- عليه السلام-: (فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) (القصص/ ٢٥).

ويحلو لبعض المقرئين أن يقف على قوله: (على استحياء)؛ ليكون متعلِّقًا بالفعل (تمشي)، أي: أن مِشْيتَها مِشْيَةٌ هيِّنة، لا تضرب برجليها الأرض، ثم يبدأ بقوله: (على استحياء) أيضا ليربطه بما بعده، وهو قوله: (قالت)؛ ليشير بذلك الابتداء إلى استصحاب الحياء المتعلق بمَشْيِها؛ ليكون قولها كذلك فيه الحياء.

ولا إشكال في هذا من ناحية المعنى؛ فمن كانت حَيِيَّةً في مِشْيتها كان قولُها كذلك من باب أولى؛ لأن الحياء في المشي واضح، وهو في القول أوضح.

بيد أن الإشكال في التركيب و شبهة الخضوع بالقول، وذانك إشكالان لابد من رفعهما:

الإشكال الأول: تركيب الجملة، حيث إن الأصل في متعلَّق الجار والمجرور أن يتقدم عليهما، فقوله:

(تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء) هو الأصل، ويكون المعنى -كما ذكره جل المفسرين- أن وصف المرأة بالحياء يقع غالبًا من الرائي لا من السامع، والذي يُرى هنا هو المشي لا القول، وعليه "قَالَ عُمَرُ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَيْسَتْ بِسَلْفَع[1] مِنَ النِّسَاءِ خَرَّاجَةً وَلَّاجَةً وَلَكِنْ جَاءَتْ مُسْتَتِرَةً قَدْ وَضَعَتْ كُمَّ دِرْعِهَا عَلَى وَجْهِهَا اسْتِحْيَاءٍ"[2]

فالابتداء بالجار والمجرور وربطه بما بعده يترتب عليه أمران:

أولهما: صحة الوقف على قوله: (تمشي)، ثم الابتداء بقوله: (عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ)، وهذا -لعمري- لم يقل به أحد، ويؤدي إلى فساد المعنى؛ وكأن جملة (تمشي) المكونة من المسند والمسند إليه تقع حالًا من الضمير المستتر في قوله: (فجاءته)، أي: جاءته ماشيةً، لا راكبةً، وهذا بعيد جدا؛ إذ إن الوصف المذكور في قوله: (على استحياء) هو المراد من الجملة الحالية.

الأمر الآخر الذي يترتب على الوقف على قوله:(عَلَى اسْتِحْيَاء)، ثم الابتداء به أيضا التكلُّف والتعسُّف، وقد يظن المستمع أن الجار والمجرور

(1) البَذِيَّةُ الفَحَّاشةُ القَلِيلةُ الحَياءِ، كما في اللسان (سلفع)٨/ ١٦١.
(2) تفسير البغوي٣/ ٥٣٠.

مكرر في الآية، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم، ينبغي الاحتراز منه، وقد سمَّيته بالوقف المتعلِّق[١].

الإشكال الآخر: هو أن الابتداء بقوله: (عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ) قد يُفْهَم من الحياء في القول أنه قول ليّن، رقيق، يناسب الحياء؛ فيكون ذلك مَظِنَّةَ الخضوعِ بالقول.

و جملة مقول القول (إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) تدل على خشونة القول، وصلابته، واعتداله، فليس فيه رائحة الخضوع.

حتى إنَّه ليُفْهَم من قولها أنها تعيش في بيئة بدوية، قد صبغتها بالصِبغة الجافة، وطبعتها بطبيعتها الخَشِنَة. والله أعلم!

الضابط الثاني: الاكتفاء بأداء الأحكام التجويدية، والاحتراز من تحسين صوتها أمام الرجال.

الضابط الثالث: الاعتدال في درجة الصوت، فلا ترفع صوتها فوق الحاجة، ولا تخفضه جدًّا؛ حتى لا يشبه الهمس والهَيْنَمة، والتَّغَمْغُم، والتَّجَمْجُم[٢]، فالصوت المرتفع مَظِنَّة التنغيم والتلحين، والصوت

---

(١) ومعناه: أن يوجد لفظ يصح الوقف عليه، كما يصح الابتداء به، فهو صالح للحالين، يمكن أن يتعلق بالسابق واللاحق، فإذا ما جعلته متعلقا بالسابق فلا تبدأ به؛ حتى لا يتوهم المستمع أن هذا اللفظ مكرر مرتين في الآية، يُنظر كتابي: الفرقان في تجويد القرآن ١٧٨ – ١٨٠، دار الصحابة بطنطا، ط/ الأولى ٢٠٠٤م.

(٢) الكلام الخفيُّ ، ينظر: العين للخليل ٤/ ٦٠.

الخافت الهادئ يستدعي تكلف الاستماع، وإثارة الانتباه.

الضابط الرابع: اجتناب الضحك، وأصوات التعجب والانبهار، والفرح أو الحزن، التي يمكن أن تصدر من المرأة تلقائيًا.

رابعًا- ضوابط احترازية عامة عند قراءة المرأة على الرجل القرآن الكريم:

يقول الإمام مكيُّ بنُ أبي طالب القيسيُّ: "يجب على طالبِ القرآن أن يتخيَّر لقراءته ونَقلِه وضَبطه أهل الدِّيانة والصِّيانة والفَهم في علوم القرآن والنَّفاذِ في علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظِ القرآن وصِحَّة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم ، فإذا اجتمع للمقرئ صحَّة الدِّين ، والسَّلامة في النقل والفَهم في علوم القرآن، والنفاذ في علوم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن كَمُلَت حالُه ووجبت إمامته"[1].

وتتلخص هذه الضوابط العامة فيما يأتي:

١-إخلاص النية لله سبحانه وتعالى(للقارئ والمقرئ معًا)، واستحضار حديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[2]؛ لتعلوَ هِمَّتُه، وتَطْهُرَ سَاحَتُه، وتَتَعَطَّرَ سُمْعَتُه.

٢- أن يتلقى القرآن على أيدي المشايخ المتقنين المجيدين.

(١) الرعاية لتجويد القراءة ٨٩.

(٢) رواه البخاري ٦/ ١٩٢.

٣-أن يكون المقرئ شيخًا كبيرًا عالمًا مُتْقنًا تَقِيًّا عفيفًا صالحًا.

٤-ألَّا تكون هناك خلوة، وألَّا يُقرئَ المرأة وحدَها.

٥-أن يجتنب أيَّ حديث بعيدٍ عن قراءة القرآن، وتعليم التلاوة.

٦-ألا يخضعا بالقول، وسأفصل الحديث عنه بعدُ إن شاء الله تعالى!

خامسًا- ضوابط احترازية للتواصل بين الجنسين عبر التقنية الحديثة:

أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي تحتل حيزاً كبيراً في حياة الناس؛ حيث إنها تتيح لمستخدميها قدراً كبيراً من الخصوصية، والبعد عن الرقيب، وحرية التعبير والمراسلة بمختلف أنواع المصنفات الفنية، الصوتية والمرئية.

والحديث بين الجنسين عبر (الإنترنت) جائز إذا دعت إلى ذلك ضرورة أو حاجة معتبرة شرعًا، أما الحديث لمجرد الثرثرة (الدردشة) والتعارف فهذا لا يجوز شرعًا؛ فإنها تصبح أكثر إغراء من غيرها على التمادي والغواية، والاقتراب من خطوات الشيطان وقد نهانا الله تعالى عن اتباع خطوات الشيطان فقال تعالى {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}(البقرة/) وقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}(النور/ ٢١). فالأولى الابتعاد عن ذلك، حتى لا ينجر المرء إلى ما بعد ذلك ؛ من التدرج في موضوعات المراسلة إلى ما نهى الله عنه، فعندما نهانا الله تعالى عن الزنا نهانا عن مقدماته وعما يقربنا إليه،

فقال تعالى {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا} (الإسراء/ ٣٢).

وحتَّى نعيش واقعنا المعاصر بديننا الحنيف نرغب أن تكون المراسلة عبر هذه الوسائل نافعة وهادفة ومفيدة ، ويجب التأدب والاحتياط خشية الوقوع فيما يغضب الله تعالى.

وإذا دعت ضرورةٌ أو حاجةٌ للحديث فلا بد من مراعاة جملة ضوابط منها:

١- عدم استخدام الصورة.

٢- أن يكون الحديث كتابة.

٣- إذا دعت حاجة للمحادثة الصوتية فيجب عدم الخضوع بالقول.

٤- وجوب الصدق.

٥- عدم الاسترسال في أحاديث لا طائل من ورائها.

٦- وجوب الحذر واليقظة حتى لا تقع المرأة فريسة لمن لا دين لهم ولا خلاق.

سادسًا- المقرأة الالكترونية وضوابط احترازية من خضوع المرأة بالقول:

يشهد جيلنا الحاضر تقدمًا عظيمًا في التقنية الحديثة، ومما يسعدنا ويثلج صدورنا انتشار ما يعرف بالمقارئ الإلكترونية، التي يقرأ فيها الصغار والكبار، والرجال والنساء، والعرب وغير العرب، وهذه من نعم الله تعالى، التي تتطلب منا شكرها.

فالإقراء الإلكتروني ييسر للناس تعلم القرآن الكريم، و إتقان تلاوته، دون عناء في سفر، أو خروج المرأة من بيتها، أو غير ذلك من المعوقات.

وقد اعتنى المجلس العالمي لشيوخ الإقراء بوضع ضوابط لإقراء القرآن الكريم عبر وسائل التقنية الحديثة، ووضع شروطًا للإقراء الإلكتروني أراها نافعة ووافية فليرجع إليها[1]، وأجتزئ منها ما يفيد البحث، وهو الآتي:

١. "يُفضَّل للدارسات عبر التعليم عن بُعد أن يقرأْنَ على أستاذات متقنات، فهذا أفضل للجميع.

٢. في حالة تعذُّر التواصل مع معلِّمة والحاجة إلى الدراسة على مُعلمٍ فيُكتفَى بالصوت دون الصورة.

٣. لا بد من موافقة ولي الأمر ، أبًا كان أو أخًا أو زوجًا.

٤. يُشترط ألا تكون المتعلِّمة منفردة.

٥. على المتعلمة أن تراقبَ الله عزَّ وجل في تلاوتها على المعلم الأجنبي عنها ، وتكون تلاوتها منضبطة بقوله تعالى: { فَلا تَخْضَعْنَ بِالقَولِ } وإذا سأَلَتْ سؤالاً علميًا فيكون سؤالها منضبطًا بقوله تعالى: {وَقُلْنَ قَولاً مَعْروفًا}".

سابعًا- الضوابط الاحترازية الخاصة بالمرأة غير العربية عند تلاوتها على الرجال:

كثير من الناس يبررون جواز تحدث المسلمات الجديدات من العرب أو العجم مع الرجال المسلمين ما دامت النية سليمة وأن

(١) وُضِعَتْ هذه الضوابط من قِبل أعضاء المجلس العالمي لشيوخ الإقراء في اجتماع المجلس الثالث الذي عُقد في مكة المكرمة ٢٥/ رمضان/ ١٤٤٠هـ الموافق ٣٠/ مايو/ ٢٠١٩م برئاسة معالي الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى رئيس المجلس والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.

الحديث يدور حول الإسلام.

وقد أَصَّلَتِ الشريعةُ للتخاطب بين الجنسين في القرآن والسنة ومن أبرز ذلك قوله تعالى : (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً) الأحزاب/ ٣٢.

فالمحظور عدم الخضوع بالقول ، والواجب على المرأة القول بالمعروف، فلا تُرَقق الصوت، ولا تُلين القول، وقد سبق تفصيل ذلك.

وأهم ضوابط الاحتراز من الخضوع بالقول عند دعوة المسلمات الجديدات من العرب وغيرهم، وإقرائهن القرآن الكريم من قبل الرجال ما يأتي:

١- التركيز على موضوع المناقشة، وترك الأحاديث الجانبية مطلقًا.

٢- اجتناب الكلام عن الشخصية من الجانبين، وتقدير الكلمة قبل نطقها.

٣- ربط علاقة المسلمة بالله تعالى وكتابه الكريم، ثم بالنبي-صلى الله عليه وسلم، فهو الأسوة الحسنة، ومن عداه من الدعاة أو الناس يخطئ ويصيب، ويؤخذ منه ويرد عليه؛ حتى لا تصطدم بواقع مخالف لحقيقة الإسلام وتعاليمه، وأخلاق القرآن و فضائله.

٤- الجِدِّيَّة من الجانبين، و اجتناب المِزَاح والفكاهة والهزل.

٥- الصرامة في الأقوال والردود والأجوبة من غير لُيُونة أو مُيُوعة أو تمطيط أو تدلُّل.

٦- ضبط الأصوات المفخمة، والاحتراز من ترقيقها، وخاصة إذا جاور الصوت المفخم صوتًا آخر مرققًا.

٧-ضبط الأصوات التي تبدل إلى أصوات أُخَرَ، ولا سيما عند غير العربيات، كإبدال الحاء هاء، والراء غينا، و القاف كافًا. وأنصح بعدم الإكثار من تدريب المرأة على يد الرجل في مثل هذه الحالة؛ لأن لُكْنة غير العربية في بعض الحروف قد تثير الرجل، و لاسيما عند تكرارها، وعليه أن يُحيلها إلى امرأة لتُدَرِّبَها على ذلك.

٨-إحالة السائلة أو الطالبة إلى إحدى المعلمات أو سماع بعض الدروس- في حالة شعور الرجل بانجذابه نحوها، أو لأي سبب آخر.

ثامنًا- ضوابط احترازية في نطق الأصوات القرآنية:

إن أبرز ما يميز صوت المرأة التي تخضع بالقول هو اللين والرقة، فهي ترقق المفخم، وتبالغ في المرقق، و من ثَمَّ رأيت من المفيد في هذا الباب استثمارَ خبرةِ أهل التجويد، من تنبيهات العلماء المبرَّزِين على الاحتراز من نطق بعض الحروف القرآنية على غير وجهها الصحيح، محاولًا اختيار ما يتناسب وموضوعَ البحث، معتمدًا على ما ورد في كتاب (تنبيه الغافلين) للصفاقسي، مع إضافة ما أراه من خلال الواقع اللغوي للنساء في عصرنا، ولاسيما في المقارئ النسائية على النحو الآتي:

الألف أو الهمزة

تسهيل الهمزة في موضع التحقيق، نحو يشَاءُ وَجَزَاءُ، لاسيما إن أتى قبلها أو بعدها ضمة أو كسرة نحو سُئِلَتْ وبارِئكُمْ وبِرُءُوسِكُمْ، وهذا التساهل قد يقع من المرأة عند اللين في قراءتها، أو الرقة في صوتها.

الباء

المبالغة في ترقيقها، كأنها ممالة، وكثير من الناس يغلط فيه لا سيما إن جاورت حرفا ضعيفا نحو بذي وبِثَلاثَةٍ وبِسَاحَتِهم أو خفيا نحو بِهِمْ وبهاد.

التاء

١-المبالغة في ترقيقها، كأنها ممالة، نحو: بتاركي.

٢-إبدالها سينا أو كالسين فيحدث فيها رخاوة وصفير، نحو: فِتنْةٌ وَاتلْ.

الثاء

إبدالها سينا، وهذا شائع عند العامة في مصر.

الجيم

١-إبدالها شينًا إذا سكنت نحو: وَجْهَكَ والنَّجْدَيْنِ ، ونحو :اجْتَنَبُوا وُ خَرَجْتُ واجْتَبَاهُ واجْتَمَعَتْ واجْتَرَحُوا .فيقال: وَشْهَك، والنشدين، واشتنبوا..إلخ.

٢-إبدالها زايا في نحو الرّجْز ورِجْزاً ولِيَجْزِيَ.

٣-إبدالها سينا في نحو رِجْسٌ .

٤-إخراج الجيم ممزوجة بالكاف .

الحاء

١-تحريكها وإدغام الهاء فيها في نحو سَبِّحْهُ، كأنها حاء مشددة مضمومة.

٢-قلت: التحذير من المبالغة في تسكينها سواء أكانت وسطا أم آخرا؛ وذلك لأنه صوت ضعيف؛ لأنه مهموس رخو مستفل منفتح مصمت مرقق.

وعلى المرأة أن تحترز من التكلف في تسكين الحاء؛ لأنه يشبه صوت البُحة .

الخاء

١-ترقيقها نحو خَالِقُ والخاَشِعِينَ والْخَاسِرِينَ، وهذه ليونة صوتية، غير مقبولة.

٢-قلت: والمبالغة في الوقف عليها عند سكونها، ويُحدث صوتُها-حينئذٍ- جرْسًا لا يليق وكلامَ الله تعالى.

الدال

١-إبدالها تاء في نحو مُزْدجر، وتزدرَى،و الديّنِ وادَّكرَ ومُدكِرٍ ، وفيه من الدلال والرقة ما يقربه من خضوع القول لغةً.

٢-وبيان قلقلتها إذا سكنت نحو القَدْرِ والْعَدْلِ لقَدْ لَقينَا والوَدْقِ ، ولا ينبغي المبالغَة في ذلك.

الذال

١-إظهارها في فَنَبذتهَا وعُذْتُ بِرَبي إن قرأتهما بقراءة من له الإظهار كنافع

٢-قلت (وعدم إخراج طرف اللسان لحن شائع).

الراء

١-تَرْعيد اللسان بها إذا شددت في نحو الرَّحْمنَ الرحيمَ ومِن رَبي حتى يصير الحرف حرفين أو أحرفا بل المطلوب حبس اللسان بها وإخفاء تكريرها وهذا مذهب المحققين كمكي و الجعبري وابن الجزري.

وطريق السلامة من هذا التكرير أن يُلْصِقَ اللافظُ بها ظَهْرَ لِسَانِه على حَنَكِه لَصْقًا مُحْكَمًا.

٢- ترقيقها في موضع تفخيمها فلابدْ من التحفظ من ذلك لا سيما إن جاورت حروف الهمس و الاستفال نحو أَرْسِلْ وأَسْرَعُ وتُرْحَمُونَ وَلاَ ترْكنوُا والأَرْذَلونَ وذَرْنَا وذرْنِي وأَنتَ الرَّقيبُ فكثيرا ما يجري اللسان بترقيقها لمجاورة الحروف الضعيفة قد أجمعوا على تفخيمها.

الزاي

١- ترقيقها حتى تصير كالممالة، نحو: فأزلهما، مفازًا.

٢- إبدالها سينا، في نحو: تَزْدَرِي وأَزْكىَ ورِزقًا ومُزْجاةٍ ولَيَزْلِقُونكَ ويُزْجي .

السين

١-بيانها إذا تكررت نحو ولاَ تَجَسَّسُوا وأُسِّسَ، لثقل الحرف المكرر على اللسان.

٢-قلت: (والمبالغة في صفيرها). ولتحترز المرأة من الضغط عليها، ولاسيما عند الوقف، نحو: (فواصل سورة الناس)؛ حتى لا يسترسلَ صفيرها.

الشين

١-عدم بيان تفشيها، نحو: فَبَشَّرْنَاهُ واشْدُدْ واشْتَرَوْا.

٢-قلت: والمبالغة في تفشيها، نحو: يشترون.

الصاد

١-ترقيقها، نحو: وأن تصدقوا، وأفاصفاكم.

٢-إبدالها سينا، في نحو: حَرَصتم.

٣-جعلها كالزاي، نحو: أَصْدقُ و يَصْدِفُونَ و تَصْدِيَةً.

٤-قلت: والمبالغة في صفيرها، ولاسيما في الوقف عليها، نحو: محيص.

الضاد

١-إبدالها طاء مهملة، وهذا من التساهل الشائع عند بعض النساء، نحو: يضربون، تنطق كأنها(يطربون).

٢-ترقيقها ولابد فيها من التفخيم البين ، وهو واقع بكثرة في رقة القول وليونته.

٣-إدغامها في الطاء، في نحو: فمن اضْطُرَّ ثم أَضْطَرُّهُ، وكذلك في التاء، نحو: خُضْتُمْ وأَفَضْتمُ.

الطاء

١-عدم إعطائها حقها من التفخيم، نحو: طَالوُتَ، وما طَابَ والطَّامَّةُ.

٢-ترقيقها كالتاء، إذا أتت بعد صاد أو ضاد نحو أَصْطفى و فمنِ اضْطُرَّ.

٣-إدغامها إدغاما تاما، إذا سكنت، وأتت بعدها تاء، في نحو: بسَطْتَّ وأَحَطْتُّ وفَرَّطْتُّ، حتى يصير اللفظ كأنه إدغام تاء في تاء، بل لا بد من بقاء صفة الإطباق والاستعلاء.

الظاء

١- ترقيقها، و جعلها ذالا . و كثيرا ما يقع هذا الترقيق في لين الكلام، وعدم الاحتراز من استقامة نطقه.

٢-قلت: وعدم إخراج طرف اللسان.وهذا لحن شائع في مصر.

العين

١-المبالغة في ترقيقها حتى تصير كالممالة كما يفعله كثير وهو خطأ.

٢-إبدالها حاء، في نحو: تَعْتَدُوا والمُعتَدِين ومَعَهُمْ.

٣-إدغامها في الهاء بعدها، في نحو: مَعَهُمْ.

٤-إدغامها في الهاء في نحو فَبَايِعْهُنَّ وكَلاَّ لاَ تُطِعْهُ لقربهما.

الغين

١-ترقيقها، ولا بد من تفخيمها، نحو غَافِرِ الذَّنْبِ والغَافِرِينَ.

٢- إدغامها فيما قاربها في المخرج نحو لا تُزِغْ قُلوبَنَا وأفْرِغْ علينا صَبْراً وأبْلِغهُ.

٣-إبدالها خاء، وأكثر ما يقع إذا أتى بعدها شين نحو يَغْشَى طَائِفةً وإذ يُغْشِيكُم.

الفاء

١-إخفاؤها أو إدغامها في الميم والواو نحو تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ولا تَخَفْ ولا تَحْزَنْ بل المطلوب الإظهار.

٢-عدم بيانها إذا تكررت في كلمة نحو: فَلْيَستَعْفِفْ، وخَفَّفَ اللهُ وحَفَفْنَاهُمَا.

القاف

١-ترقيقها ، نحو قَلِيلاً وقَدِمْنَا وقُولُوا وقِيلاً،و قَالَ وقَاموا.

٢-مزجها بالكاف إذا التقتا نحو خَلَقَ كلَّ شَيْء ويَجْعَل لك قصُورًا وخَلَقَكُمْ.

٣-بيان قلقلتها وشدتها إذا سكنت، نحو: وأَقْسَمُوا بِاللِه، ولا تَقْنَطُوا وفَاقْضِ، و يَقُصُّ الحَقَّ، والأَسْوَاقْ .

الكاف

ترقيقها كثيرا حتى تصير كالممال، لاسيما إن أتى بعدها حرف مهموس نحو كفروا.

اللام

١-إدغامها في النون في نحو: جَعَلْنَا وأَنْزَلْنَا وَظَلَّلْنَا وفَصَّلْنَا وقُلْ نَعَمْ.

٢-المبالغة في إظهارها، حتى تقلقلها أو تحركها، ويفعله كثير من القراء وهو لحن.

الميم

١-عدم إظهار غنتها إذا شددتِ نحو دَمَّرَ، وَحَمَّالَةُ وخَلقَ لَكُم مَّا، وهم مِّن بَعْدِ، ومِنْهُم مَّن وَلَهُم مَّا .

٢-إذا تكررت وجب بيانها، نحو: ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَم، ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ، وعَلَىَ أممٍ مِمَّنْ مَعَكَ.

النون

١-إخفاؤها حالة الوقف على نحو الْعَالَمِينَ، وَنسْتَعِينُ؛ حتى لا ينطق بها أو لا تسمع.

٢-التكلف في بيانها كالقلقلة.

الهاء

١-المبالغة في ترقيقها؛ حتى تصير كالممالة، كما يفعله كثير وهو خطأ.

٢-إدغامها إذا تكررت في كلمة نحو وُجُوهُهُمْ ويُلْهِهِم وجِبَاهُهُمْ، أو في كلمتين، نحو: فيهِ هدىً، جَاوزَهُ هوَ.

٣-إدغامها في الحاء، في نحو: اتَّقوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وسَبّحْهُ.

٤-قراءتها بالضم في قوله تعالى (لَهْوَ الْحَدِيثِ) لظنهم أنه ضمير.

٥-قلت: والمبالغة في السكت، أي:في إخراج هوائها عند الوقف خاصة، نحو: منْه، فيه، فَغُلُّوه، صَلُّوه، فَاسْلُكُوه.

الواو

١-بيان حركتها، فإن جاء بعدها مثلها نحو ووُرِيَ ويَلْوُونَ وهل يَسْتَوُونُ أو قبلها لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ كان الاهتمام ببيانها وبيان حركتها أشد لكثرة الثقل وكذلك إذا تكررت مع التشديد نحو غُدُواً وعَشيـًا.

٢-قلت: والمبالغة في الترقيق. نحو: يعملون، يصنعون.

٣-المبالغة في ضم الشفتين عند نطقها.

الألف المدية

١-ترقيقها في موضع التفخيم، نحو ألف (قال)، و(الصالحين) .

٢-المبالغة في ترقيقها، كما يفعله بعض العجم، حتى يصيروها كالواو.

٣-قلتُ: ويُحَتَرَز من التنغيم في مدها، ولاسيما في غير المد الطبيعي، فيكون صعود الألف صعودًا متكسِّرًا مُعْوَجًا.

الياء

عدم بيانها وبيان تشديدها إذا شددت؛ نحو إيَّاكَ وشَقِيّاً وصَبيّاً وتَحيَّةً وشَرْقيَّة وغَرْبيَّة، وذُرِّيَّةٌ ورِبِّيُّونَ، و بمُصْرخِيَّ ووليٌّ وشَقيٌّ .

الوقف على المشدد:

الوقف على المشدد بالتخفيف، كأنه حرف واحد، مثل: وَليّ وخَفِيّ وبَنِيّ ، ومُسْتَمِرّ والْحَقّ وصُمّ وصَوَافّ وجَانّ وغَيْرَ مُضَارّ .

الوقف على ما آخره همزة:

عدم الاعتناء ببيان الهمزة عند الوقف عليها، في نحو دِفْءٌ وشَيْءٌ.

الاحتراز من القراءة بطريقة منهي عنها:

وقد نبّه العلماء على ما ابتدعه الناس من قراءة القرآن بنغم شجيّ يتردّد فيه الصوت تردّدَ الوقْعَ المُوسِيقِيَّ، وعبّرَ الرافعي في كتابه «إعجاز القرآن» عن ذلك بقوله: «ومما ابتدع في القراءة والأداء هذا التلحين الذي بقي إلى اليوم يتناقله المفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم، ويقرؤون به على ما يشبه الإيقاع، وهو الغناء!."[1]

ومن أنواعه عندهم في أقسام النغم (الترعيد): وهو أن يرعد القارئ صوته، كأنه يرعد من البرد أو الألم ... و (الترقيص): وهو أن يروم السكوت على الساكن ثم ينقر مع الحركة كأنّه في عدو أو هرولة، و (التّطريب) وهو أن يترنّم بالقرآن، ويتنغم به، فيمدّ في غير مواضع

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي،٤٤، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.

المد، ويزيد في المد إن أصاب موضعه، و (التحزين) وهو أن يأتي بالقراءة على وجه حزين يكاد يبكي مع خشوع وخضوع[1].

وهذه خلاصة ما يجب على القارئ- سواء أكان رجلًا أو امرأة- أن يحترز من الوقوع فيه، و قد يكون كثيرٌ منه أحدَ المظاهر الصوتية للخضوع بالقول.

تاسعًا-ضوابط احترازية في خصائص تعبيرية أخرى:

(أ)الخصائص اللفظية للمرأة:

من أهم الخصائص اللفظية للمرأة –فيما يتعلق ببحثنا هذا- انتقاء الألفاظ المؤدبة والخالية من الإيحاءات غير المستحبة، وفي هذا يقول Hassعن النساء: إنهن خجولات نحو الإشارة إلى أجزاء معينة من الجسم وإلى وظائف طبيعية معينة بصورة مباشرة، وعادة ما يتجنبن الألفاظ السوقية أو المكشوفة التي يستعملها الرجال، وبخاصة الشباب..النساء من أجل هذا يستخدمن التلطف، ويفضلن الكلمات والعبارات غير المستهجنة"[2].

وقديما نصح المربون بتربية الطفل في حضانة امرأة؛ لأنها لن

---

(1) ينظر: الإقناع في القراءات السبع، لابن البَاذِش ، ٢٧٧، دار الصحابة للتراث، و جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي،، تح/ د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة
الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت،ط/ الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي،تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب
الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، ٣٤، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، ط/ الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

(2) اللغة واختلاف الجنسين ٩٨.

تسمح للكلمات البذيئة أن تطرق سمعه[١].

وعلاقة هذا الكلام بالبحث في معنى الباء، في قوله: (بالقول)، وقد تكون للسببية، ويترتب عليه أن ميل المرأة وتأثرها قد يكون بسبب قول الرجل، فلا ينبغي أن تتجاوب معه، وقد سبق الكلام عن ذلك بالتفصيل.

(ب) الخصائص التعبيرية للمرأة:

تكثر النساء من عبارات الاستحسان أو التقييم مثل: رائع، وجميل، وحلو، وجذاب، وغير ذلك، وعليها أن تحترز من هذا عند قراءتها على الرجل.

كما تغلب عليهن العبارات الدالة على قوة المشاعر والعواطف والانفعالات، مثل: يا لهوي، يا روحي، يا حبيبي، يا ضناي، يا حرقة قلبي عليك، يا مصيبتي، وغيرها[٢].

(ج) الخصائص النطقية للمرأة:

والنساء أكثر صلة بالأطفال من الرجال؛ لأنهن أقدر على اتباع طريقة النطق الحديث، ومن ثَم فإن دورهن في التطور الصوتي أكبر خطرًا من الرجل، وفسر ذلك بأنهن لا يعشن جيلهن فحسب، بل يشاطرن الأجيال الناشئة حياتها كذلك

ومعنى هذا أن البيئة اللغوية للمرأة هي بيئة الجيل الجديد، في حين البيئة اللغوية للرجل هي بيئة الشباب والكهول والشيوخ[٣].

---

(١) السابق ذاته.

(٢)السابق ذاته.

(٣) ينظر: اللغة واختلاف الجنسين للدكتور أحمد مختار عمر.

قلت: ولا شك أن خصائص النطق لدى المرأة مرتبطة بفطرتها، وعاطفتها، فهي مجبولة على عاطفة الأم، وإن لم تكن أمًا، وعلى قدر سعة العاطفة لديها تكون قدرتها على التحكم في تطوير تفكيرها وتعاملها مع الصغير، متفوقة على الرجل في هذا المجال.

ومن الخصائص النطقية للمرأة التميز الفسيولوجي في نطق (السين)و(الشين)؛ حيث إنها تنطق بهما برقة ولين .

وذكر عالم فرنسي أنه يستطيع أن يؤكد-وبناء على الإحصائيات المتعددة- أن نسبة٦٠٪ أو ٧٠٪من النساء يملكن نطقا للشفويات أقل توترا من نطق الرجال[1].

كما تتميز المرأة في نطق الحركات الطويلة(حروف المد)، ولعل ما ذكرناه من خصائصها الصوتية كافٍ في تعليل هذه الخَصِيْصَةِ، فالجهر المصاحب لحروف المد يحدث زميرًا ذا طبيعة خاصة، حيث دقة الصوت و رقته.

ويبدو قدرة المرأة على التنغيم المتعلق بالاستفهام التقريري عند نطقها مثلا لقوله تعالى:{أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَم الْحَاكِمِين}[التين:٨]، وقوله: (أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) (الزمر/ ٣٦). ولذلك من أهم ما يضبط هذه الخَصِيصَة عند قراءة المرأة القرآنَ الكريمَ أمام الرجال عدم التنغيم، واستعمالِ طبقات صوتها في أثناء القراءة.

---

(١)السابق ذاته.

الخاتمة

ونسأل الله حسنَها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فقد آن للباحث أن يحط رحاله بعد هذه الرحلة الماتعة في ظلال آية كريمة من كتاب الله تعالى، تتعلق بقضية العفة، والنهي عن الخضوع بالقول، وقد أثمرت هذه الرحلة المباركة نتائج كثيرة، أوجزها فيما يأتي:

أولًا-وضعَ البحث ضوابط احترازية؛ حتى لا تخضع المرأة بالقول، في حالة قراءتها القرآن على الرجل، سواء عن طريق تلقِّيها عنه مباشرة، أو بواسطة التقنية الحديثة.

ثانيًا-رسم البحث كثيرًا من الظواهر اللغوية والصوتية للخضوع بالقول، من خلال الصوت الطبيعي للمرأة، والأصوات القرآنية التي يُحترز من الخطأ في نطقها.

ثالثًا-معرفة الاستعمال الحقيقي من المجازي من مرجحات التفسير.

رابعًا- أثر تعدية الفعل بحرف معين في تحديد المعنى اللغوي الصحيح.

خامسًا- من معاني الباء السببية، و قد ذهب البحث إلى احتماله في قوله (فلا تخضعن بالقول)، ولم أره عند أحد من المفسرين.

سادسًا- ترجيح ما ذهب إليه أبو حيان في تفسير التقوى بالاستقبال.

وفي الختام أسأل الله أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته..اللهم آمين

كشاف المصادر والمراجع

- القرآن الكريم – برواية حفص عن عاصم، طبعة مجمع الملك فهد، بالمدينة المنورة.
- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي،تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- أحكام القرآن للجصاص، تح/ محمد صادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٠٥ هـ.
- أساس البلاغة للزمخشري، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- الأشباه والنظائر للسُّبكي، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى ١٤١١هـ– ١٩٩١م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي،دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.
- الأعلام للزركلي، لناشر: دار العلم للملايين، ط/ الخامسة عشر / مايو ٢٠٠٢ م.
- الإقناع في القراءات السبع، لابن البَاذِش، دار الصحابة للتراث
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي، دار إحياء التراث العربي، ط: الثانية – بدون تاريخ.
- إيضاح الوقف والابتدا ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري ، تح/ محيي الدين عبد الرحمن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، عام النشر: ١٣٩٠هـ – ١٩٧١م.

- باهر البرهان فى معاني مشكلات القرآن للنيسابوري، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ، تح/ سعاد بنت صالح، جامعة أم القرى - مكة المكرمة حرسها الله تعالى، عام النشر: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الفكر – بيروت،ط/ الأولى / ١٤١٤ هـ.

- التحرير والتنوير= التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

- التعريفات الفقهية لمحمد البركتي، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- تفسير أحمد حطيبة، الشيخ الطبيب أحمد حطيبة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

- تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان أثير الدين الأندلسي، ط/ دار الكتب العلمية بيروت/ الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

- تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تح/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط/ الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين ، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان،ط/ الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- تفسير الرازي= مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة١٤٢١هـ.

- تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تح/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري،تح/ أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة،ط/ الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

- تفسير غريب القرآن للكواري، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، ط/ دار بن حزم،ط/ الأولى، ٢٠٠٨.

- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.

- تفسير القرآن للسمعاني، لأبي منصور السمعاني، تح/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية،ط/ الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، ابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، تح/ أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة،ط/ الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)،تح/ أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط/ الثالثة - ١٤١٩ هـ.

- تفسير الماوردي = النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تح/ السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط/ الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .

- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ الأولى سنـ١٤٢٤ـة هـ

- تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، دار النفائس ـ بيروت ٢٠٠٥ .

- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط/ الأولى.

- التفسير الوسيط للواحدي= الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين)، للصفاقسي، محمد الشاذلي، الناشر: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.

- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تح/ حمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ الأولى، ٢٠٠١م.

- تيسير التفسير للقطان، إبراهيم القطان، المكتبة العربية الكبرى،ط/ الأولى.

- جمال القراء وكمال الإقراء، لعلم الدين السخاوي،، تح/ د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث - بيروت،ط/ الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي، ،تح/ فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

- دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان،محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور، الناشر: دار الفكر - عمان، الأردن، ط/ الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط/ الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- ديوان النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر الذبياني، الغطفاني (المتوفى: ٦٠٥ م)، تم استيراده من نسخة: المكتبة الشاملة المكية.

- الرعاية لتجويد القراءة، مكي بن أبي طالب القيسي، مكتبة قرطبة، ط٢٠١٨م.

- روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، الناشر: مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان- بيروت، ط/ الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح، تح/ محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط/ الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميرى، د حسين العمري - مطهر الإرياني - د يوسف محمد، ط/ دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ط/ الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة الكرماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت.

- غريب الحديث، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، تح/ د. سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى - مكة المكرمة،ط/ الأولى، ١٤٠٥.

- فتح القدير للشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الأولى - ١٤١٤ هـ.

- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٢٤٩، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.

- القاموس المحيط، الفيروزآبادى، تح/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: العرقسُوسي، بيروت - لبنان، ط/ الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- القرآن الكريم وتفاعل المعاني دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى، محمد محمد داود، دار غريب،٢٠٠٢م.

- كتاب الأفعال لابن الحداد السرقسطي، حسين محمد محمد شرف، مراجعة: محمد مهدي علام، مؤسسة دار الشعب للصحافة

والطباعة والنشر، القاهرة – جمهورية مصر العربية،ط/ النشر: ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، تح/ عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية –بيروت، ط/ الأولى – ١٤٢٢ هـ.

– المغني في القراءات لابن الدهان، تح/ محمود بن كابر الشنقيطي، مكتبة نور.

– معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب،ط/ الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

– معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية

– سليمان مسلم الحرش، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع،ط/ الرابعة، ١٤١٧ه.

– المكتفى لأبي عمرو الداني، محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط/ الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا،أحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي،تح/ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث،القاهرة، ٢٠٠٨م .
- كتاب العين للخليل بن أحمد، تح/ مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي ، لبنان، ط/ الأولى١٩٨٨م.
- اللغة واختلاف الجنسين للدكتور أحمد مختار عمر،عالم الكتب، ط/ الأولى١٩٩٦م.
- مختصر التحرير شرح الكوكب المنير، ابن النجار الحنبلي، تح/ محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط/ الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، تح/ عبد الجليل عبده شلبي،تح/ عالم الكتب – بيروت،تح/ الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- المعجم الاشتقاقي المؤصَّل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، طبعة مركز المربي،ط/ الرابعة٢٠١٩م.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، ط/ دار الدعوة.
- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان ، مكتبة الأنجلو المصرية.

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي، ط/ الأولى١٩٩٦م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ أَلْفَاظِ المهَذّبِ لابن بطال، دراسة وتحقيق وتعليق: د. مصطفى عبد الحفيظ سَالِم، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ١٩٩١م.
- الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، ط/ الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

كشاف الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
التمهيد:معنى الضابط، والفرق بينه وبين القاعدة والمعيار، ثم بينت حكم مخاطبةِ المرأةِ الرجلَ الأجنبيَّ، و أن صوتَها ليس بعورة.	
المبحث الأول: مفهوم الخضوع عند اللغويين	
المطلب الأول: معنى الخضوع في اللغة.	
المطلب الثاني: الفرق بين الخضوع وما يقاربه في المعنى.	
المطلب الثالث: الخضوع بين الحقيقة والمجاز.	
المطلب الرابع: الفعل(خضع) بين التعدي واللزوم.	
المطلب الخامس: الحروف التي يتعدى بها الفعل (خضع) بين اللغة والقرآن.	
المبحث الثاني: وقفات تدبرية في قوله تعالى:(فلا تخضعن بالقول).	
المطلب الأول: وقفة مع سياق الآية الكريمة.	
المطلب الثاني: خلاصة أقوال المفسرين في معنى النهي عن خضوع المرأة بالقول. المطلب الثالث: الوقف والابتداء في الآية وأثره في المعنى.	
المطلب الرابع: تفسير أبي حيان (التقوى) ب(الاستقبال) والرد عليه.	
المطلب الخامس: معنى الباء في قوله:(بالقول).	
المطلب السادس:توجيه قراءتي(فيطمع) بالنصب والجزم، وأثره في المعنى.	
المطلب السابع: المراد بالمرض والقول المعروف.	
المبحث الثالث: خصائص صوت المرأة وضوابط احترازية في ضوء علم الأصوات.	
المطلب الأول:الخصائص الصوتية للمرأة.	
المطلب الثاني: صفات صوتية خاصة ببعض النساء.	
المطلب الثالث: ضوابط احترازية في الصوت الطبيعي للمرأة.	
المطلب الرابع: ضوابط احترازية عامة عند قراءة المرأة على الرجل القرآن الكريم	
المطلب الخامس: ضوابط احترازية للتواصل بين الجنسين عبر التقنية الحديثة	
المطلب السادس: المقرأة الالكترونية وضوابط احترازية من	

الموضوع	الصفحة
خضوع المرأة بالقول	
المطلب السابع: الضوابط الاحترازية الخاصة بالمرأة غير العربية عند تلاوتها على الرجال	
المطلب الثامن: ضوابط احترازية في نطق الأصوات القرآنية.	
المطلب التاسع: ضوابط احترازية في خصائص تعبيرية أخرى.	
الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.	
كشاف المصادر والمراجع	
كشاف الموضوعات	